شارل بودلير

اليوميات



منشورات الجمل

علي مولا

شارل بودلير

اليوميات

شارل بدولير

اليوميات

ترجمة : آدم فتحي

منشورات الجمل

شارل بودلير (١٨٢١ باريس – ١٨٦٧ باريس) شاعر وناقد فرنسي. من مؤلفاته: أزهار الشر (١٨٥٧)، الفراديس الاصطناعية (١٨٦٠)، قصائد نثر صغيرة (١٨٦٩).

ولد آدم **فتحي** عام ١٩٥٧ في تونس، شاعر، له اسهامات في المقالة الصحفية والدراسة النقدية والقصة. أشرف على عدّة صفحات ثقافية. له العديد من المؤلفات والترجمات، منها: أناشيد لزهرة الغبار، شعر (١٩٩٢)، جيلبر سنويه: ابن سينا أو الطريق الى اصفهان، رواية، ترجمة (١٩٩٩)، نعيم قطّان: وداعاً بابل، رواية، ترجمة (١٩٩٩).

شارل بودلير: اليوميات، ترجمة: آدم فتحي
رسمة الغلاف: بودلير، بوتريت شخصي بقلمه

الطبعة الأولى، كولونيا – المانيا

Postfach 600501
50685 Köln . Germany
Tel: 0221 736982 . Fax: 0221 7326763

على سبيل التقديم
يوميّات الكائن الأوركسترالّي

١ ـــ لماذا «اليوميّات»؟

« ـــ لماذا حدث الأمر بهذه الطريقة دون أيّ طريقة أخرى؟
ـــ لأنّه هكذا حدث! والتاريخ يقول: الصدفة تخلق الموقف والعبقريّ يستغلّه...»

ليون تولستوي: الحرب والسلام

كان بودلير قد توفّي منذ سنة تقريبًا، حين صدرت رواية «الحرب والسلام» التي دار فيها هذا الحوار. وكانت الصدفة وحدها هي التي أتاحت له بين سنة مولده (١٨٢١) وسنة رحيله (١٨٦٧)، أن يعيش لحظةً جوهريّة، لنسمّها «اللحظة الأمّ»، تعرفها القرون مثلما يعرفها كلّ كائن حيّ يولَد ويكبر ويترهّل ويموت.

في رحِمِ هذه اللحظة أفصحت معالم القرن التاسع عشر عن نفسها، وأصبحت من ثَمّ قابلةً للمواجهة والتجاوز والاختراق، حُبْلَى بظلال التمرّد والعقوق الخلاّق. ولنا أن نسأل إن لم يكن على النقد أن يولي عنايةً أكبر بمثل هذه الصدف «السعيدة»، وأثَرِها في تمكين

مبدِعٍ مَا من الإمساك بعصرهِ من مكمن النبض فيـــه، والإســـهام في نحت ما هو كائن وما سيكون. فلا هو يأتي مبكّرًا حين تكون ملامح العصر غائمة مائعة، مستعصيةً على التحديد، ولا هو يـــأتي متـــأخّرًا حين تكون ملامح هذا العصر قد ترهّلت وبلغت من العمر أرذلـــــه، فإذا هي تخرف كالعجائز طويلة الاحتضار.

كان القرن التاسع عشر كالمرجل يغلي باتّجاهات فلسفيّة متنوّعة: "ترانسندنتاليّة" كانت (١٧٢٤-١٨٠٤)، «مثاليّة» هيغـــل (١٧٧٠-١٨٣١)، «ماديّة» فويرباخ (١٨٠٤- ١٨٧٢)، «تطوّريّة» شـــــارل داروين (١٨٠٩-١٨٨٢). وفي علاقة جذب وسحب مـــع هـــؤلاء الأعلام الأربعة، كان كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) يضع اللبنـــة فوق الأخرى لبناء صرحه الفكريّ، فها هو ينشر نقده لفلسفة هيغـــل سنة١٨٤٤، ثمّ أطروحاته حول فويرباخ سنة١٨٤٥، فـــــ «بـــؤس الفلسفة» سنة١٨٤٧، ثمّ ها هو يُوقّع مع زميله أنجلز علـــــى «بيـــان الحزب الشيوعيّ» سنة ١٨٤٨.

وإذا كان بودلير لم يفتكّ من الزمن ثلاث سنوات أخرى ليتاح لـه أن يقرأ الجزء الأوّل من كتاب «رأس المال»، فلا شكّ أنّـــه عـــايش صراعات الاتّجاه الميكانيكيّ والاتّجاه الذاتيّ، ورأى كيف ظلّ العقـل ضاربًا في «المشهد»، مستمدًا سلطته من «عصر أنـــوار» لا يريـــد أن

يخلي المكان، فيما كانت« وضعيّة » أوغست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧) تنادي بعجز العقل عن إدراك العلل والغايات، وبضرورة اتّخاذ العلوم التجريبيّة طريقًا إلى اليقين. ولاشكّ أنّه واكب وقوف الاتّجاه الرومانسيّ ضدّ ما ترسّب من مقولات القرن الثامن عشر وضدّ مقولات عصر الأنوار أساسًا، ورأى كيف برزت أفكار شوبنهاور (١٧٨٨-١٨٦٠)، وكيف ظهر تيّار الميتافيزيقا، إلخ...

كان على بودلير أن يتّخذ لنفسه موقفًا من كلّ ذلك، وأن يشقّ طريقه في زحمةٍ من القامات الشعريّة البارزة، قلّ أن اجتمعت في مرحلة واحدة: لامارتين، هوغو، دي موسّيه، تيوفيل غوتييه، إلخ... وقد تأثّر هؤلاء الشعراء بالصراعات الفكريّة التي عجّ بها عصرهم (ولعلّهم أثّروا فيها أيضًا)، وترجموا هذا التأثّر وذاك التأثير إلى مضامين وجماليّات لم يكن من السهل على أيٍّ كان التقليل من شأنها أو التغاضي عنها. وقد رأى بعض النقّاد (بيير برونيل وهنري لوميتر، مثلاً) أنّ شعراء تلك المرحلة قد وقفوا في معسكرين أساسيّين : معسكر «الواقعيّة» و«الطبيعيّة» من جهة، ومعسكر«الفنّ للفنّ» من الجهة الأخرى. ولم يكن بودلير من الشعراء القادرين على الاصطفاف في قطيع. لذلك لم يكن أمامه سوى أن يخوض صراع الجماعة، بالطريقة التي تكفل له نحت فرادته. كان عليه أن يكون

لحظةَ وَصْلٍ وفَصْلٍ في آنٍ واحد، ابنَ عصره الوفيّ والعاقّ في الوقت نفسه.

وها نحن نراه في هذه «اليوميّات» كأوضح ما تكون الرؤية، يفكّر ويشكّ، يحسم ويتراجع، ينحاز ويتخلّى، يهجم ويدافع، يمدح ويهجو، يقارع الحجّة بالحجّة، ويتّخذ لنفسه موقعًا من كلّ هذا الذي حفل به عصره.

لم يكن بودلير يفكّر في نشر هذه النصوص كما هي (بدليل أنّه لم يفعل). لذلك فالأرجح أنّها وصلتنا في صورة الدفْق الأوّل، أي دون تشذيب وتهذيب وإعادة كتابة. الصورة التي تفضح «شغل» الكاتب وتدخّله الأسلوبي حين تُقارن بكتاباته «الأخرى» التي رضي لها أن تنشر. ومن ثمّ فهي ذات أهمّية خاصّة، الأهمّية نفسها التي تكتسبها زلّة اللسان حين تكون في هيئة «زلّة قلم».

في الحواشي الملحقة بكتاب«بودلير: الأعمال الكاملة» الذي تمّ الاعتماد عليه في ترجمة هذه النصوص، يذكر ميشيل جاميه أنّ اليوميّات هي في الأصل مجموعتا ملاحظات، سجّلها بودلير في شكل «رؤوس أقلام» أو شذرات، لتجميع المادّة الضروريّة لتأليف كتابين منفصلين: «صواريخ» و«قلبي عاريًا». وربّما كان عنوان "الشذرات" أقرب إلى طبيعة هذه النصوص. إلاّ أنّ الناشرين (سنة ١٨٨٧) جمعوا

بين العملين بعد وفاته، وأضافوا إليهما سجلّ ملاحظات (بعنوان«نظافة») لم يعبّر بودلير في أيّ وثيقة عن رغبته في نشره، وأصدروا الكلّ تحت عنوان واحد: «يوميّات خاصّة». وقد تعمّدنا المحافظة على هذه التسمية، على الرغم من عدم دقّتها، لتداولها بين القرّاء. إلاّ أنّنا اقتصرنا على كلمة يوميّات لترجمة الأصل الفرنسيّ: Journaux intimes.

في هذا العمل نخمّنُ أنّنا أمام بودلير مختلف، أكثر شراسة وأقلّ أناقة. وليس منشأ هذا التخمين أنّ النصّ قد يكون وصلنا على غير ما هيّأ له صاحبه، فحسب، بل منشأه أنّنا أمام صورة «جانبيّة»، جديدة، غير تلك التي نعرف في أزهار الشرّ أو قصائد النثر. وقد نقع في شَرَكِ النصّ، فنظنّ بأنّنا نرى أخيرًا وجه بودلير «بلا رتوش» ولا مساحيق (هو الذي يمقت الطبيعة ويدافع عن الماكياج)، وأنّنا نضبطه هنا متلبّسًا بالكتابة وهو خالي الذهن ممّا يسمّيه«متطلّبات المهنة»، بعيدًا عن دانْدِيّته التي خبرناها في نصوصه المعروفة.

والحقيقة أنّ بودلير الذي نرى في اليوميّات هو بودلير نفسه الذي نعرف في القصائد والكتابات النقديّة، بداندّيته المخاتلة وروحه الجريحة وتمزُّقِه بين قاع الحياة كما كان يراها، موحلة ضيّقة باعثة على السأم، وآفاقها الروحيّة حيث الخلاص والنقاء. مع فارق وحيد: أنّه في قصائده يمارس هذا التمزّق ويحوّله إلى شعر، مع ما في الشعر

من تمنّع واستعصاء، بينما هو في اليوميّات يسائله ويحاوره ومن ثَــــمّ، يكشف لنا عن أسراره بشكل غير معهود.

في اليوميّات نحن أمام النصّ وقد تحوّل إلى «ورشة عمل» لإعــــداد نصوص أخرى، أو لإضاءتها. هنا نقترب أكثر مــــن طريقــــة عمـــل الشاعر. نرى «كائناته» لا كما تبدو في نصوصه التي رضي لهــــا أن تُسْفِرَ عن وجهها للناس، بل نعايشها وهي«جنين»، ثمّ نراها تتشــــكّل وتتكوّن، تنمو وتستوي مكتوبة. ونرى صاحبها يقول ثمّ يعيد القول، يقول ويستدرك، يقول ويصمت.

اختلف النقّاد في حكمهم على هذه النصوص. بعضــــهم مجّدهـــا ورأى فيها كنزًا لا يقدّر بثمن. وبعضهم اعتبرها مجموعة بداهــــات لا غير، تكشف عن تأثّر صاحبها بمقولات دي ميستر وإيمرسون وإدغار ألان بو وألفونس راب وغيرهم، لكنّها لا تفصح عــــن مفكّـــر ولا تحتوي على أفكار. والحقّ أنّها في نظرنا نصوص متمرّدة، كشف فيها بودلير عن «معانقته» بقدر ما كشف عن «مفارقته» لمعلّميه. وهـــــي نصوص تنتمي إلى الشعر بقدر ما تنتمــــي إلى النــــثر، وتســــتوجب الاحتكام إلى مرجعيّة تجمع بين هذا وذاك.

إنّها فرصة لا تُعوّض كي نعاينَ «تيمات» لم تحفــــل بهــــا كثــــيرًا نصوصه الشعريّة أو النقديّة، بصفة مباشرة، لكنّنا نكتشف هنا، كــــم

كانت هذه «التيمات» محوّمةً بظلالها الوارفة على تلـــك القصــائد والكتابات، مؤثّرةً فيها بشكل أو بآخر: الدائنون، المال الضـــروريّ لمعالجة الأمّ والعشيقة، المرض، الخوف من الإدمـــان، المشــاركة في مظاهرات العمّال، وفي أحداث الثورة.«تيمات» تفصح عن بودلـــير مختلف، يوميّ، مهتمّ بتفاصيل مثل إعداد جرعة الأفيون، أو توزيـــع كميّة حقيرة من الفرنكات اتّقاءً لشرّ الدائنـــين. لكنّـــها تتنـــاغم في الوقت نفسه مع تيمات بودلير الآخر، المفكّر، المتـــأمل، البـــاحث، اللاهث وراء عشبة الخلود.

هنا يطلق بودلير ناره النقديّة على بلده وعصره ومعاصريه (هوغو، جورج صاند...)، يبيّن لنا موقفه من الفكـــر والسياســـة (فولتـــير، بونابرت، روبيسبيير...)، يقسو على نفسه وعلى الجميـــع (جـــين، الأصدقاء، الثورة، أوباش الأدب...)، ثمّ يعود فيحــــدب ويشـــفق، كأنّه حزمة حرائق تغتذي بنارها وبها تموت، لكنّها قبل الموت بقليـل، ترقص رقصتها الأخيرة، فتشعل العالم من حولها، ولا أحد يعـرف إن كانت تحرق لتضيء أم تضيء لتحرق.

ولعلّ القارئ يكتشف أيضًا كم كانت هذه «اليوميّات» حـــاضرة في العديد من الكتابات التي جاءت بعدها بكثير. ولا نعني الكتابـــات التي حاولت فَهْمَ «حداثة» بودلير، بل تلك التي حاولت محاكاة هـــذه

الحداثة، وإعادة إنتاجها، لا من حيث المواضيع المطروحة، والجرأة التي تمّ بها طرح هذه المواضيع، فحسب، بل من حيث الشكل والأسـلوب أيضًا، كاعتماد الشذرة، والنقلة المفاجئة مـــن فكـــرة إلى أخـــرى، والتوزيع البصريّ للكلمات على الورقة، الخ...

إنّنا هنا أمام واحد من المراجع الهامّة، التي ســـاهمت في تكويـــن الوعي الحداثيّ لكتّاب كثر في العربيّة وفي غير العربيّة.

واحد من ضمن قائمة طويلة من المراجع "المسكوت عنها".

١- بودلير المتعدّد
أو
تجلّيات الكائن الأركسترالّي

«لو فُقِد الدين من هذا العالم، لَوُجِدَ في قلبِ مُلحد»

شارل بودلير. ألبوم آسيلينو

«من بين الحقوق التي كثر الخوض في شأنها هذه الأيّام،
ثمّة حقٌّ منسيّ، قد يهمّ الجميع أن يعاد إليه الاعتبار.
إنّه الحقّ في التناقض...»

شارل بودلير. ألبوم آسيلينو

« أن تعرف يعني أن تتناقض. ثمّة درجة من عدم التناقض
لا يرقى إليها شيء سوى الكذب...»

شارل بودلير. ألبوم فيلوكسين بويير

اتُّهِم بودلير كثيرًا بالازدواجيّة والتذبذب والتناقض. ولعلّه كان يشعر بمتعة كبيرة وهو يرى صورته الغامضة تترقرق في عيون معاصريه. فإذا هم لا يدرون هل هو متديّن أم ملحد؟ أرستقراطيّ أم صعلوك؟ عاقل أم مجنون؟ ديموقراطيّ أم ملكيّ؟ وقد يرى البعض أن

بودلير يفصح في هذه اليوميّات عن ذروة تناقضه وغموضه، فكأنّه لا يثبت على رأي، وكأنّه يقول الشيء ونقيضه في صفحة واحدة. ولعلّ الأمر لا يعدم نصيبًا من الصحّة، إلاّ أنّه في حاجة إلى تمحيص وتدقيق.

بودلير ليس مزدوج الشخصيّة، بل هو أكثر من ذلك: إنّه متعدّد الشخصيّة. هو الشيء و«الشيء الآخر» في الوقت نفسه. الـ «هنا» والـ «هناك» في آن واحد. لكنّنا سنرى أنّه كان على الرغم من «تعدّده» (وربّما بسببه)، شديد التناغم والانسجام مع ذاته، بعيدًا عن التناقض في معناه السائد. بل أنّه لم يطلق العنان لتعدّده إلاّ ليكون «واحدًا» لكنْ دون «أحاديّة»، متناغمًا لكن بعيدًا عن أيّ حلّ وسط، فهو لم يمقت شيئًا مَقْتَهُ الأحاديّة والحلول الوسطى.

لقد ظلّ طيلة حياته منسجمًا مع نفسه من حيث رؤيته لحرّية الفنّان، وضرورة اعتبار الفنّ طريقًا للخلاص. وظلّ دائم الدفاع عن أرستقراطيّة الفنّ، وأعرب في أكثر من شذرة في هذه اليوميّات عن رفضه انخراط الشاعر في خدمة أيٍّ كان، سلطةً أم قطيعًا، واحترازه من الديمقراطيّة كما فهمها عصره. كان واضحًا في إعلان احتجاجه على الدكتاتوريّة والطغيان، وقرفه من الشعبويّة والفجاجة. بِالإسْمِ سَمَّى حكّامَ عصره. لم يهادن. لم يتوار خلف ستائر الإبداع أو

النخبويّة بحثًا عن السلامة. لم يغشّ و لم يخدع. واجه مُعاصِريــه بما يكنّ لهم من احتقار أو إعجاب و لم يركن إلى نميمةٍ أو دسّ. لكنّــه لم يكن قدّيسًا وإن حاول. ولا كان معصومًا من خطأٍ أو خطيئة. كــان دانديًّا فحسب، وهو القائل: « على الداندي أن يعيش ويموت أمـــام مرآة ». في هذه المرآة، اختار بودلير أن يرى وجهه وقفاه في الوقـــت نفسه. هكذا تعدّد كي لا يهرب من أخطائه وكي لا ينكر خطايــاه. وذاك ما سنتناوله في ما يلي بشيء من التفصيل.

على الصعيد الذاتيّ، تبنّى بودلير «مكوّناتـــه» كلّــها، بأســـودها وأبيضها، بقبيحها وجميلها، وجنّدها في سبيل أن يكون، أو أن يحاول أن يكون: «رائعًا باستمرار». و لم يفلح في ذلك (هل أفلح؟) إلاّ لأنّــه كان قادرًا على الحبّ صادقًا فيه صريحًا في الإعلان عنه. لقد جعـــل من الحبّ والصدق والصراحة المحور الذي تقوم عليه الأجزاء المتعـدّدة لتصير كـــلاًّ واحـــدًا. ولعلّـــه مـــن أجـــل ذلـــك كتـــب هـــذه «الشذرات\اليوميّات »، التي أرادها «اعترافات» لا تُرْكَنُ في خلوة في كنيسة، بل تُشْهَرُ في وجه العالم كما يُشهر السيف، مترعة بأحقـــاده وغضبه وآلام كبريائه الجريحة. بل لعلّه لم يكتبها بما بدا عليه أحيانًـــا من قسوة وعدوانيّة وهجائيّة، إلاّ دفاعًا عن ذاك الصدق وعن تلـــك الصراحة وعن هذا الحبّ.

دفاع بلغ به بودلير «الحدود القصوى»، كعادته في كلّ تجلّياته، هو شاعر الأقاصي والحافات. فإذا بالصدق تقلّبٌ ومراوغة بقدْرِ ما هو مواجهة، وإذا بالصراحة تخَفٍّ وإخفاء بقدر ما هي إبانة. ولعلّهُ بِقَدْرِ ما أحبَّ كَرِهَ وتحدّث عن الحقد والغضب والانتقام، لأنّه سرعان ما آمن بأنّ الحبّ كالفنّ نوعٌ من البغاء. بغاء ضروريّ، أو لنقل، لامناص منه، لأنّه تعبير عن حاجة الإنسان «الواحد» إلى الآخر، أي إلى «التعدّد». هكذا يصبح التعدّد البغيض حياةً أخرى للصدق، ويغدو القناع الممقوتُ وسيلة للتعرّي، وتتحوّل الكراهية الكريهةُ تواصلاً للحبّ. كأنّ نقيضَ الشيء هو الشيءُ نفسهُ وقد نُقِلَ إلى لُغةٍ أخرى. نوع من الترجمة «الخيميائيّة». ترجمة النصّ نفسه عدّة مرّات، كما لو أنّه يُعاد كلّ مرّة إلى «لغةٍ أمّ»، جديدة.

تخلّى بودلير عن الكثير من آرائه كلّما تجلّى له وجه آخر من وجوه الحقيقة. لكنّه كان يصدع بذلك، ويبرّره، ويدافع عنه. هكذا حدث له مع أمّه التي تزوّجت بعد وفاة والده، ومع ماري دوبرون التي خانته، ومع تيودور دي بانفيل الذي كان طرفًا في الخيانة، ومع فيكتور هوغو الذي خيّب ظنّه، ومع آرائه في الثورة والمَلَكيّة، وفي موقع الفنّ من الجدوى والمجانيّة إلخ... كتب يقول في رسالة إلى فلوبير بتاريخ ٢٦جوان\حزيران١٨٦٠): «...لاحظ أنّي لا أكفُّ

عن الاستمتاع بتغيير الرأي،...». لقد تمرّد إذَنْ، وتعدّد، وتراجع وتغيّر. لكنّ المتأمّل سرعان ما يكتشف خلف ذلك كلّه كائنًا مهووسًا بالحقيقة. وهذا وحده كافٍ لردّ «التهم الأخلاقيّة» التي حوكم على أساسها بودلير. ولعلّنا نجد متّسعًا في الفقرات اللاحقة، كي نقترب منه أكثر وهو يعدّد المواقف ليكون صاحب موقف، ويغيّر الآراء ليكون صاحب رأي، ويقف حقًّا ضدّ أخلاق من سمّاهم أغبياء البورجوازيّة، لكنّه يظلّ بمنأى عن اللاأخلاقيّة السطحيّة، التي تعني في ما تعني لدى الحمقى، أن يكون المرءُ عديم الأخلاق.

هكذا يكون قد سحب البساط من تحت أقدام أولئك الذين يبحثون عن نماذج و«موديلات» لتبرير حربائيّتهم وميلهم الدائم مع الرياح حيث تميل. موتى الروح هؤلاء، يجهلون (بل يتجاهلون) الفرق بين تناقض الداعر وتناقض الشاعر الذي عاهد نفسه على أن يعيش ويموت أمام مرآة. تلك المرآة المروّعة، رحمُ خيباتِ الخائبين المرّة، وترجمانُ خسائر الخاسرين الفادحة، التي تَرْجُمُ الكثيرين بحقيقة أنفسهم، وتخرّب نومة وعيهم الطويلة، فإذا هم يسعون إلى تحطيمها هربًا من بشاعتهم العارية إذ تنعكس على أيّ لوحٍ فصيح.

التناقض الذي دافع عنه بودلير، وكشف عنه أكثر من خلال هذه اليوميّات، بعيد كلّ البعد عمّا ذهب إليه هؤلاء. هو مراوحة المبدع

بين سؤال يلقيه على نفسه وجواب يظلّ ممتنعًا عليه. هـــو التجـــدّد الدائم الذي يعني الانحياز إلى الحركة في مقابل السكون، مع المحافظـــة على بوصلة الروح دائمًا في اتّجاه الأجمل، أي الأسمَى هدفًا والأصدق حبًّا والأشدّ عمقًا والأوسع حريّة. هو الاعتراف بضعـــف الـــذات البشريّة وعدم التفصّي من هشاشتها، وتحويل هذا الضعـــف وتلـــك الهشاشة إلى وسائل قوّة وصمود. وهو أيضًا الإنصاتُ إلى الصـــوت الشيطانيّ فينا، ذاك الصوت الداعي إلى إشباع الرغبة واتّباع الغوايـــة والتمرّد على الناموس، واقتفاءُ أثر هذا الصوت خطوةً وراء أخـــرى، للوصول به ومعه وعلى الرغم منه إلى ذُرى القدّيسين.

إنّه تناقض الأوركسترا الكبيرة، التي تتعدّد آلاتها، وتتنوّع أصواتها، لتتناغم وهي تطلق أجنحة مخلوقاتها النغميّة في سماء الكينونة. المبـــدع كائن أوركستراليّ أو فهو لاشيء. معزوفة بوليفونيّة أو فهو صمـــت. المهمّ أن لا تغيب المرآة عن العين. من ثمّ، سيظلّ تنـــاقضُ الشـــاعرِ طريقَه إلى الانسجام، مثلما سيظلّ شكُّ الفيلسوف طريقَه إلى اليقـين. ومن ثمّ أيضًا، سيظلّ المبدعون يطلقون سمفونيّاتهم الخالدة، ويحلّقـــون بنا، مثل نجوم تشير إلى الشمال، الشمال المطلق، الذي هو اتّجاه كـــلّ كائن حيّ، أي كلّ كائن يحلم باختراق السقف الفاصل بين ما هـــو موجود وما هو منشود.

على الصعيد الابداعيّ والفكريّ، تجلّتْ «أوركستراليّةُ» بودلير في ما يمكن أن نسمّيه «التهجين» أو «مزاوجة الأطراف»، حيث يوضَعُ كلّ شيء على محكّ رؤيةِ المبدع الشخصيّة. فإذا هو ينكر ما يراه غيره بديهيًّا، ويرى علائق تخفى على سواه، ويُحْبِلُ الأشياء بما لم تحبل به من قبل.

رفَضَ الكلاسيكيّة بعقلانيّتها المفرطة وقصديّتها ومباشريّتها وولعها بتغييب الرؤية الذاتيّة وتقديسها القواعد ومحاولتها محاكاة الحقيقة وميلها إلى الوعظ والإرشاد. لكنّه لم يرفضها رفضًا مطلقًا. بل احتفظ منها بما رآه صالحًا للشعر: ضرورة التزام الشاعر بضوابط للكتابة داخل فضاء الحريّة الذي يختاره لنفسه. فلا حريّة للشاعر بالنسبة إلى بودلير إلاّ في صراعه مع كوابح وضوابط «يختارها» لنفسه خارج كلّ تقديس أو تحجّر أو أحكام مسبقة.

أمّا الرومانسيّة، فقد أُعجب بجرأتها على القواعد الموروثة، وانحيازها إلى العاطفة وحرصها على إعادة الاعتبار للذات الفرديّة والحسّ الدينيّ وإعطائها مكانًا للحدس في تعاملها مع الحياة بأبعادها اللانهائيّة. لكنّه أحسّ بحدودها فرفض أن يتحوّل إلحاحها على العاطفة إلى استدرار للعواطف أو تقوقع على الذات أو نواح في حضن الطبيعة، كما رفض أن يصل الحسّ الديني إلى التحجّر المذهبي،

والإيمان بالباطن إلى تغييب للعقل، والانفتاح على ما فوق الظواهـــر إلى ارتماء في غياهب الدهاليز الخرافيّة، معلنا أنّ الفرق كبـــير بـين الخرافة التي قد تضيء بوهجها الأسطوريّ عتمة العقل، والتخريـــف الذي تلهج به العجائز في ليالي الشتاء الطويلة .

كما رفض اعتبار الشعر «موظّفًا» اجتماعيًّا أو إيديولوجيًّـــا، في خدمة الطبيعة أو الفلسفة. لذلك أُعجب بتيوفيل غوتييه لوقوفه ضـــدّ الرومانسيّة ودفاعه عن «مجانيّة» الابداع، لكنّه وقف ضدّ الشـــكلانيّة التي سقط فيها أتباع مدرسة «الفنّ للفنّ»، معتبرًا أنّ الشكلانيّة تقتـــل روحانيّة الشعر، وتقتل المعنى، ومن ثمّ ابتعاده عن البرناسيّين وتبشـــيره بالشعر الرمزيّ.

ابتعد بودلير إذَنْ عن الكلاسيكيّة لكنّه لم يقطع مع بعض ظلالهـــا الوارفة، ورفض الرومانسيّة لكنّه ظلّ شديد الاعجاب بشـــاتوبريان، مثلاً، وامتدح ما رآه أهلاً للمدح في فيكتور هوغو، وهجا مـــا رآه أهلاً للهجاء فيه، ورفض نظريّة الفنّ للفنّ لكنّه دافع طويـــلاً عـــن تيوفيل غوتييه وأهداه ديوان "أزهار الشرّ". وبين هذا الرفـــض وذاك، أخذ يشكّل من «تناقضه المزعوم» لوحةً محكمة النسيج، بانيًا رؤيتـــه الخاصّة، مفسحًا المجال لما سمّيناه بـــ: الكائن الأوركستراليّ فيه، كـــي

يؤلّف سمفونيّته مقطعًا بعد آخر، تاركًا أصواتـــه المتعــدّدة تتـآلف وتتناغم وتفصح عن وحدها الفريدة.

رأى في الطبيعة، وفي كلّ ما هو طبيعيّ، رمز الشرّ علـــى هـــذه الأرض، ثمّ آمن بالعقل وسيلةً ضروريّة للابتعاد عن الطبيعة، شرطَ أن يكون عقلا مفتوحا على الباطن وعلى الحياة في كلّ أبعادهـــا. ولمّـا كان لابدّ له من أبٍ فلسفيّ في هذا المجال، فقد فضّل أن يسخر مـــن فولتير، ومن كلّ منظومة عقليّة جافّة، ويؤمن بجوزيف دي ميســـتر، معتبرًا أنّ الفنّ سحر يمكّن العقل من التحليـــق بواســطة الخيـــال، والإفراج عن ملكات الروح العميقة. بهذا المعـــنى تحوّلـــت تقنيـــات الكتابة عنده إلى ما سمّاه بيـــير برونيـــل وهـــنري لوميـــتر: «أدوات سحريّة»، وتحوّل الشاعر إلى خيميائيّ يحوّل النحاس إلى ذهب. وكان لابدّ من تكملة ذلك باتّخاذ الدانديزم منهجًا وســـلوكًا. الدانديـــزم باعتباره هجومًا هو، في الوقت نفسه، أحسن طريقة للدفـــاع. إنّـــه «قناع» لحماية الذات عند اصطدامها اليوميّ بالطبيعيّ والعاديّ، وهـــو أيضًا الـــ «طقس» الضروريّ لكلّ «ساحر» يحترم نفسه...

كان يعرف، مثلما لاحظ كلود روا في مقدّمة «الأعمال الكاملـــة» أنّ الله في طرف وأنّ الشيطان في طرف آخر، وكان دائم الاحســـاس، في كلّ لحظة، باستحالة التوفيق بين هذين النقيضين، طرفي المأســـاة

البشريّة منذ «الخطيئة الأولى». لذلك رفض، عكس غيره، أن يمسك بالعصا من الوسط، كما رفض الكذب على نفسه بادّعاء الانحياز إلى هذا الطرف أو ذاك. بل آثر أن يتحمّل شرطه الانسانيّ كاملاً. أي أن يواجه شغفه بالحياة وقرفه منها في الوقت نفسه. أن يعيش تمزّقه بين الشرّ والخير دون كذب على الذات أو على الآخرين. مطالبًا بحقّه في هذا وذاك.

هذا هو التناقض البودليريّ كما يتّضح في اليوميّات: إنّه المؤالفة بين الشرط الانسانيّ والشرط الشعريّ، والاقتراب من تلك العظمة البشريّة التي ذكّرنا كلود روا، في المقدّمة نفسها، بتأكيد باسكال على انّها « لا تظهر في أن تقف على هذا الطرف أو ذاك، بل في أن تمسك بالطرفين في الوقت نفسه، وأن تردم ما بينهما من فجوة».

كان بودلير مجموعة كواكب سابحة في الفضاء، تبدو في الظاهر متناثرة متقابلة، والحال أنّها تدور في انتظام محكم، بفضل قطبٍ جاذبٍ يجعل كلّها يدور في مدار معلوم. وما كان له أن يقدر على هذا "الإنسجام في التناقض"، لولا وقوفه على أرضيّة خاصّة به، كانت بمثابة المنهج الأخلاقيّ، والإيديولوجيا السياسيّة، والفلسفة

الجمالية، وطبعت مواقفه من ذاته ومن الناس، وجعلـــت "كواكبـــه" المتناثرة، تدور في مجموعة شمسيّة واحدة، تحتكم إلى قطب الجاذبيّـــــة نفسه: الدانديزم.

٢ – الدانديزم
أو
مرايا حَجَر الجمال...المتقابلة

« ... الأديب عدوّ العالم... »

شارل بودلير. قلبي عاريا. الشذرة ٢٩

«...كن دائمًا شاعرًا حتّى في النثر...»

شارل بودلير. نظافة الشذرة ٤

«...الأمم لا تنجب العظماء إلا مرغمة. إذنْ، لن يكون الرجل عظيمًا إلا إذا انتصر على أمّته جمعاء...»

شارل بودلير. قلبي عاريا. الشذرة ٨

من هو الداندي، ما هو الدانديزم؟

سؤال يطرحه بودلير أكثر من مرّة في هذه الشذرات، وبأكثر من صيغة. بل انّه يسأل: ماهو الداندي؟ كمن يتحدّث عن ظاهرة لا عن شخص بعينه. والحقّ أنّه لا يفصل بين الشخص والظاهرة. الداندي

عنده هو الدانديزم، أي المعادلة الخيميائيّة التي بفضلها يلتحم الشـاعر بالإنسان، لإنجاب الكائن الأسمى: الدانديّ.

يقوم الدانديزم البودليري على أعمدة متعاضدة في ما يشبه التنـاظر الهندسيّ، بين مرايا تتقابل وتترادف، كأنّ بعضها مجعـول لمواجهـة البعض الآخر، لِلجْمه وكبح جماحه، من أجل خلق «تناغم الأضـداد» المنتج للجمال. تناغم قائم على نشدان توازن يظلّ مستعصيًا ومتمنّعًا، لا يتمّ الوقوف على استحالته المطلقة، ولا يتمّ تحقيقه التحقيق التـامّ، وإلاّ فقد المبدع ذاك المفتاح السحريّ الذي نستطيع تسميته: «حَجَـر الجمال»، كما لو أنّنا نتحدّث عن «حجر الفلسفة».

بناءٌ من المرايـا المتقاطعـة، يبـدو مـن خلالـه «بورتريـه» الداندي\الشاعر\الإنسان، أقرب إلى لوحةٍ من الأرابيسـك (أكـثر الفنون روحانيّة حسب تعبير بودلير)، لوحة لا تلغي التناظر الهندسـيّ ولا تثبته، بقدر ما تعوّمه في شبكة من الشروخ والعثرات والمسـالك المتداخلة، تجبر العين على الحدس وسبر المجهول، ويتعذّر معها تحديـد نقطة البداية أو الحسم في ماهو جوهريّ وما هو هامش.

عبادة الذات (Auto-idolatrie): أحد الأعمدة الرئيسة التي يقـوم عليها الدانديزم البودليريّ. ولعلّها «إلتواءة شيطانيّة» حسب تعبـيره. أليس من صفات الشيطان أن ينتصر لنفسه مزهـوًّا بها مفـاخرًا

الإنسان؟ وفي الشذرة نفسها(صواريخ\الشذرة١١) يتحدّث بودلير عن تطهيرالذات ومعاداة البشريّة (anti- and Self-purification humanity). ثمّ لايلبث أن يضع السخرية (L ironie) في مواجهة ذلك. وكأنّه لا يريد لهذه الإلتواءة الشيطانيّة أن تسيطر على الكيان كلّه. الدانديّ إذن كائن شيطانيّ. لكنّه ليس تمامًا الشيطان. إنّه من طينة البشر. يعشق نفسه لأنّه يكرهها، مادام يكره البشريّة التي هو منها. ويكره البشريّة لأنّه يحبّها، مادام يعشق نفسه وهو من البشريّة. الداندي البودليريّ نرجس من نوع آخر. لا يهلكه أن يرى وجهه في المرآة، بقدر ما يهلكه أن يرى المرآة في وجهه. يعيش تجربته التراجيديّة في مواجهة العالم بأسره، عاشقًا ذاته لأنّه مختلف عن العالم، وليس في وسعه سوى أن يعشق العالم لأنّه مختلف عنه. لذلك لابدّ له من السخرية. وحدها السخرية تستطيع أن تضحك ممّا هو تراجيديّ. وبالسخرية وحدها يستطيع الدانديّ\ الشاعر\ الإنسان، أن لا يحمل نفسه محمل الجدّ أكثر ممّا يلزم. أي أن يشبع نوازعه الشيطانيّة بما يكفي ليتبدّد دون أن ينفصل، وأن يبتعد عن العالم بما يكفي ليتفرّد دون أن ينعزل. هكذا نصل إلى عمود آخر من أعمدة الدانديزم.

الفرادة : «...الرغبة يوميّا في ان أكون الأعظم بين البشـــــر...» (قلبي عاريا\الشذرة ٣٩). هكذا يحدّد الداندي أولويّاته. «...كـــــن رجلا عظيما وقدّيسا في نظر نفسك قبل كـــــلّ شـــيء...» (قلـــبي عاريا\الشذرة ٢٤). لكنّه يعرف أنّ «...الأمم لا تنجب العظماء إلاّ مرغمة. إذن لن يكون الرجل عظيمًـــا إلاّ إذا انتصـــر علـــى أمّتـــه جمعاء...» (قلبي عاريا\الشذرة ٨). تلك هي الفرادة الـــــتي علـــى الداندي أن يتحمّل مزاياها وتبعاتها إلى النهاية. «...البطل الحقيقــــيّ يلهو وحيدًا...» (قلبي عاريًا\الشذرة ٩). أن تتفرّد يعني أن تختلــف. ولا بأس في أن يكون البلد كلّه في مواجهتك، العالم كلّـــه ضـــدّك، العصر كلّه منفى لك. تلك ضرائب على الداندي أن يتقبّلها كأوسمـــة وعطايا إلهيّة: «...الإهانات التي قوبِلتُ بها كانت نعمًا مـــن الله...» (نظافة\الشذرة ٦). لكنّ هذه الفرادة لا تتمّ إلاّ بيقظـــــة مســـتمرّة، بتوهّج للوعي يجعل الروح قادرة في كلّ لحظة على تصحيح المســـار. وهنا يأتي دور المرآة. شرط آخر من شروط الدانديـــزم. «...علـــى الداندي أن يعيش وينام أمام مرآة...» (قلبي عاريًا\الشذرة ٣). لكنّ المرآة تفترض التعدّد. أليس العدد أحد نقائض الفرادة؟ ثمّ ما هي هـــذه المرآة؟ الذات التي يكتشف فيها الداندي طبيعته البشريّة الراســـبة؟ أم الآخر النقيض؟ أم الله، الذي لا بدّ للشيطان من أن يرى فيـــه ذاتـــه

المُفارقة؟ إنّها هذا وذاك. ثمّ ألا يقوم الشيطان بالدور «العاكس» نفسه؟ ألا يخفي هذا التروع إلى الفرادة والتوحّد والعزلة، شكوى مريرة من الوحدة؟ جوعًا مريرًا إلى دفء الآخر؟ «...إلى حدّ الآن لم أستمتع بذكرياتي إلاّ وحيدًا... لابدّ من الإستمتاع بالذكريات مع آخر...» (نظافة\الشذرة٧)، ولكن أيّ آخر؟ هل هو الصديق الذي طعنه في الظهر؟ هل هو المرأة التي لم يستعذب منها إلاّ عذابه بها؟ هكذا يكتشف الداندي البودليريّ أنّه يجب أن يعيش تمزّقه المستمرّ بين أوصاله المسحوبة في كلّ اتّجاه. هاوية أخرى عليه أن يقوم بردمها، وهو يعرف أنّه لن يستطيع. وعليه أن يقتات من عذابه بتلك المعرفة. ولكن كيف، والحال أنّ الكسل هو أحد عناصر نسيجه العضويّ؟

الكسل (La Paresse): طموح الإنسان منذ بداية التاريخ. تاج العبقريّة الذي لا طريق إليه، للأسف، سوى العمل. «عادةٌ» من عادات بودلير الأليفة «...الدانديّ لا يصنع شيئًا...» (قلبي عاريًا\الشذرة ١٣). إنّه «...إنسانٌ أعلى...عاطل من العمل...» (قلبي عاريًا\الشذرة ٢٠). لا يريد أن يكون مفيدًا. الآخرون فقط مجعولون للسخرة و«ما يُسمّى المهن». هكذا يصرخ الشاعر\الداندي\الإنسان. لكن سرعان ما تقف أمامه

الضرورة. ضرورة الحياة والحركة. ضرورة العمل لا من أجل الخلود فحسب، فهذا قد يمرّ، بل من أجل الخبز أيضًا، وسداد الديون، ومقاومة الأغبياء والحمقى والتجّار البارعين في إخصاء الروح، وتدبّر ثمن الجرعة أو الكأس، وأجرة الطبيب، وإيجار الجحر الغامض الذي هرّأته الرطوبة...ثمّة يرتطم الدانديّ بحائط الضرورة. ومرّة أخرى، نرى مرآةً تقف قبالة كلّ مرآة. «...آن الأوان لاتّخاذ نشوتي الدائمة من عذابي اليوميّ، أعني العمل...» (نظافة\الشذرة ٢). ها هو إذنْ، يحدّد مأزقه الآخر: الضرورة في مواجهة الرغبة. «...للشفاء من كلّ شيء، من البؤس والمرض والكآبة، لا شيء ناقص إطلاقًا سوى الرغبة في العمل...» (نظافة\الشذرة ٣). لكنّ الداندي مثل كلّ مرّة، لن يستطيع الخروج من مأزقه إلاّ بالدخول فيه إلى النهاية. أي بامتصاص المتضادّات الخالقة للمفارقة، وتحويلها، بضربة سحريّة، بلمسة خفيفة لحجر الجمال، إلى عناصر متناغمة داخل منظومة واحدة. وقد عمل بودلير كثيرًا، هو الموصوم والمتبجّح بالكسل. عمل بعنف، وأحيانًا بعدوانيّة، كما لو أنّ الشاعر يريد أن يدفع الآخرون « ثمن » اضطراره إلى العمل. من ثمّ نشأت مزوشيّته أو ساديّته؟ من يدري؟ من ثمّ، ربّما، انبثق تمجيده للحقد والغضب، وجاء النبر الإستفزازيّ الغالب على خطابه. «...هل تتصوّرون

داندیًّا یخاطب الشعب إلاّ للسخریة منه؟...» (قلبي عاریًا\الشذرة ١٣). الإستفزاز إذن، شرط آخر من شروط الداندیزم. «...المتعة الأرستقراطیّة في أن لا تكون محلّ إعجاب...» (صواریخ الشذرة ١٢). ولكن ماذا یخفي ذلك؟ رغبة في استدراج الآخر؟ صراخًا في بریّة العزلة كمن یهمّ بطلب النجدة لولا كمامة الكبریاء؟ أم أنّه ما سمّاه سارتر، رغبة الطفل في أن یتمّ التفطّن إلیه، كي یُعاقب، أي، كي یُهتمّ به أیضًا؟ إنّه دورٌ یلعبه ویتقمّصه حدَّ التماهي، حدَّ نسیان أنّه دور. كان بودلیر، على كثرة هجائه المعلن للمسرح، یحلم بأن یدیر مسرحًا في باریس ویفصح عن ذلك في رسائله العدیدة. فهل علم تُرى، أنّه قد حصل على «دور حیاته» كداندي. دور یختلط فیه ما هو مكتسب بما هو غریزيّ. إنّه الظهور حدّ الاختفاء. إنّه الصورة التي تتقمّص وجه صاحبها، أو یتقمّصها، إلى أن تصبح هي حقیقة الوجه، أو یصبح الوجه حقیقة الصورة. ألیس بودلیر هو الذي أعلن «...تمجید عبادة الصور، غرامي الكبیر، الأوحد، البدائيّ...» (قلبي عاریًا\الشذرة ٣٨). هكذا یعیش الدانديّ تمزّقًا آخر. التمزّق بین الكسل والعمل، هو أیضا تمزّق بین الظاهر والباطن، بین الواقع والركح، بین الوجه والصورة، وهو في النهایة، تمزّق بین الحیاة والموت. عمود آخر من أعمدة الداندیزم.

الداندي، ولنقل الشاعر، يعشق الحياة كما يعشق المجوسيّ النـــار. وهو يعرف أنّه لن يعرفها حقّ المعرفة إلاّ إذا احترق بها. «...خـامرني وأنا طفل، إحساسان متناقضان: التقزّز من الحياة والإنتشاء بهـــا...» (قلبي عاريًا\الشذرة ٤٠). هكذا يبدأ الأمر. ثمّ يتحـــوّل التقـــزّز إلى رغبة في الحياة، ويتحوّل الانتشاء إلى رغبة عنها. رغبتـــان، واحـــدة موجبة والأخرى سالبة، تترجم كلّ منهما عن نفســـها بـــالأخرى. والنتيجة واحدة: الحياة بشهوانيّة التفاني في العبادة. أي الحيـــاة حـــدّ احتراق الحياة، أي الحياة حدّ الموت. وثمّة اسمٌ آخر لهذا النوع مـــن الحياة: الانتحار.

كان بودلير يحبّ الشعراء والفنّانين الذين انتحروا، أو كتبـــوا في الانتحار، أو عاشوا حياة أدّت بهم إلى الموت السريع في مـــا يشـــبه الإنتحار(بوامون، ألفونس راب، إدغار آلن بو، إلخ...). وقد نصّـــب بعضهم معلّمين له، ونماذج يحتذيها. واعتبر بعضهم توائمه الروحيّـين. ولم يكن غريبًا من ثمّ، أن تندرج حياته وكتابته ضمـــن اســـتراتيجيا انتحاريّة صارخة. حياة وكتابة لا يحاول صاحبهما أن يؤمّن لنفســـه فيهما أيّ خطّ للرجعة. بل يقترفهما، كما لو أنّه يشهر سلاحًا علـــى نفسه وعلى العالم، كما لو أنّه طلقة رحمة بالنسبة إلى عالم يحتضـــر، تتمنّى لنفسها طلقة الرحمة في كلّ لحظة. هكـــذا كـــان اســـتفزازه

وصراخه وهجاؤه وتشاؤمه وإنذاره بالخراب القادم والهاوية التي يسير إليها العالم. هكذا كان سهره وخمره وحشيشه ونساؤه الغامضات. حياة أُريد لها أن تكون فضيحة للجسد كي يفصح عن كوامنه وللروح كي تكشف الأعمق. وأريد لها أيضًا أن تكون مهلكة للروح وللجسد بأسرع ممّا يتيح لهذه أن تحلّق ولذاك أن يمنحها أجنحة. ولعلّنا لا نذهب بعيدًا، إذا رأينا في هذه الاستراتيجيا الانتحاريّة أعراض عقدة، غير غريبة عن الدانديزم بصفة عامّة، وعن الشعر تحديدًا، لازمت الكثير من المبدعين وألهمتهم أجمل ما كتبوا على الإطلاق: إنّها «عقدة الناجي الأخير» (complexe du Survivant Le). أصدقاؤه يرحلون، نماذجه تموت أو تنتحر، وهو قيد الحياة. أليس هذا كافيًا كي يعيش الدانديّ، ولنقل الشاعر، كما لو أنّه مطالب بالتكفير عن كونه لم يمت بعد؟

على هذه الأعمدة يقوم بنيان الدانديزم. وفي هذا البنيان يتشكّل الداندي\الشاعر\الإنسان البودليريّ، وتتحقّق له شروط التكوّن، ليتجلّى في أكمل صوره، سيّدًا على كائناته، متوحّدًا بشظاياه. ولعلّ الصورة تتّضح أكثر، إذا سمح القارئ بشيء من التفصيل الإضافيّ لحوصلة ملامح هذا الكائن، كما كشف عنه بودلير في هذه اليوميّات.

الداندي راهب متمرّد. متديّن إلى الحدّ الذي يسمح له باختراق الدين. (ألا نستطيع هنا، التحدّث عن صوفيّة ما؟). متديّن لكن على طريقته الخاصّة. وقد كتب بودلير في رسالة إلى أمّه (١٨٦١\٤\١)عن محاكمة كتابه أزهار الشرّ، منكرا على رجال الدين الذين هاجموه، عجزهم عن فهم أنّه ينطلق من فكرة دينيّة أساسًا. الداندي يؤمن بضرورة الله، لأنّ العالم محتاج إلى عناية إلهيّة، لكنّه إله لا ضرورة لوجوده كي يحكم (صواريخ\الشذرة ١). يؤمن بدين عالميّ، «...دين كونيّ... صنعه خيميائيّو الفكر...» (قلبي عاريًا\الشذرة ٣١). دين يبتعد عمّا في الكاثوليكيّة من «شعائريّة»، ويبتعد عمّا في البروتستانيّة من «تعقيم»، ليقترب أكثر من العبادة الخاصّة بحميميّة كلّ إنسان.

ذلك أنّ الإنسان بالنسبة إلى بودلير، هو كما قال معلّمه دي ميستر، «تذكرة إلهيّة» Divin Memento (قلبي عاريا\الشذرة ٣١)، تلتقي في برزخه كلّ الأديان. وهو كما سبق أن رأينا، إنسان بالجانب الشيطانيّ فيه. بل انّه يعتبر الشرّ موجودا بفضل العناية الإلهيّة، مرتبطا بالخير ارتباطًا لا فكاك منه. الشرّ في نظر الداندي، هو الذي يسم العالم بميسمه، ويجعل للحياة قيمة ومعنى. وإذا كان المسيحيّون يحتكمون إلى الحبّ، كأحد مسمّيات الكائن الأسمى، وإذا

كان الداندي كما سبق أن رأينا، يعتبر الحبّ كالفنّ، نوعًا من البغاء، عن طريقه يتمّ إيماس الكائن الأسمى، فإنّه سيعمد لا شكّ إلى انتزاع حقّه في مواجهة الحقيقة، وتحمّل تبعاتها. الحبّ بغاء، وكذلك الفنّ (صواريخ\الشذرة ١). لكنّه بهما فحسب، يكون ويستمرّ. هكذا يصبح الإيمان بالنسبة إلى الداندي، منهج مقاومة. خلفيّةً مرجعيّة، تمكّن الكائن من الطموح إلى عالمٍ تبتهج فيه الروح.

في مثل هذا الدين تصبح الصلاة كالكتابة: طاقة، وسيلة استحضار، تنتمي إلى طقوس السحرة، تمكّن الشاعر\ الإنسان\ الداندي، من الوصول إلى أقاصيه، وإلى أبعد ممّا يرى العقلُ أو الحواسّ. جسر يلقى بين العقل والروح لشحذ الوعي قصد جعله أكثر نفاذًا إلى ما تخفيه مظاهر الأشياء.

الداندي صعلوك نبيل. يكره الوعظ والإرشاد. ويمقت أخلاق «أغبياء البرجوازيّة»، التي تُرتدى في المجالس والصالونات مثل الحليّ والملابس. والتي تعني غالبًا النفاق والدجل والنذالة المقنّعة. لكنّه يلزم نفسه بقواعد خاصّة به، منهجيّة أخلاقيّة شخصيّة صارمة، من شأنها أن تجعله قدّيسًا في نظر نفسه، نظيفًا، مترفّعًا عن الصغائر والأوحال. أخلاق كائن أسمى من التراتبيّة العاميّة التي يقام على أساسها الفصل بين الخير والشرّ.

الأخلاق عند بودلير ليست منهجًا غايته تغليب الخير على الشـــرّ. إنّها ممارسة يوميّة لصراع دائم بين الإثنين، مع اليقين بأنّ الشرّ غــالب في النهاية، ولكنّ عدم التسليم بذلك هو الذي ينتج عنه الخير. يحـلول الداندي أن يجد القوّة الكافية للقيام بواجبه كلّ يوم(نظافة\الشـــذرة ٦)، أن يعترف بأخطائه وأن يصلّي(نظافة\الشذرة ٨). الحياة بالنسبة إلى الداندي، سلسلة خيارات محكومة بالعناية الإلهيّة، وعليه أن يجـــد محورًا أخلاقيًّا خاصًّا به، يدور عليه كلّ خيار. وأن يفشل في ذلـــك. وعليه كلّما فشل أن يحاول من جديد، كما لو أنّه من فشله يقتات.

«الفشل» بالنسبة إلى بودلير عمود من أعمدة الدانديزم. بـــل إنّ سارتر يتّهمه بـــ «البحث عن الفشل، والذهاب إليه عن نيّة مسبقة». تلك مزوشيّة بودلير، والمزوشيّة تخلق رديفها \ نقيضـــها في الوقـــت نفسه: الساديّة. كتب يقول في رســـالة وجّهـــها إلى أمّـــه بتـــاريخ ١١\٩\١٨٥٦ : «...أنا سعيد بأن أكون ضحيّة، وليـــس هـــذا فحسب، بل إنّي لن أكره أن أكون جلاّدًا أيضًا...» (راجع هوامـــش أندريه غيّو في ما يتعلّق بهذه المسألة\ص٥٨٣). هكذا كانت ســـيرة بودلير، تمزّقًا موصولاً بين سلوك الضحيّة وسلوك الجلاّد. في تنـــاغم تامّ. على أساس أنّهما وجهان لعملة دانديّة واحدة.

والداندي هو على الدوام «إبنٌ السياسة الضالّ». يقف ضدّ الملكيّة في ١٨٤٨. ويقف ضدّ الطغيان العسكريّ. ويطالب بإعدام الجنرال أوبيك ويشاهَد في الشارع أيّام الثورة. ويطلق صرخته الشهيرة عند الإنقلاب:

«...هذا بونابرت آخر...» (قلبي عاريًا\الشذرة ٥). لكنّه لا يطيق الإصطفاف طويلاً مع البرجوازيّة واللبراليّة. إنّها أرستقراطيّة الداندي، الذي يؤمن بالندرة والرفعة، والذوق والجمال. وثوريّته التي تجعله دائم الضيق بالقمع والخديعة والاستعباد.

لقد اختبر بودلير بورجوازيّة عصره، ورأى في سيرها خدعًا تسترى ومظاهر تمويه، سرعان ما تفضي إلى عداء للجمال والفكر والفنّ. «...لو طلب بورجوازيٌّ قليلاً من لحم الشعراء مشويًّا، لبدا الأمر طبيعيًّا جدًّا...» (صواريخ\الشذرة ١١). هكذا كان عليه أن ينأى بنفسه عن سياقٍ لم يعد يرضيه. على الداندي\الشاعر\الإنسان، أن يقف أبدًا ضدّ الفكرة، مهما كانت عظيمة، إذا تحوّلت إلى فكرة سائدة، تُساق بها الجموع كالقطيع. لذلك سرعان ما اعتبر نابليون ضرورة من ضرورات العناية الإلهيّة. ولو قلنا إنّه اعتبره «شرًّا لا بد منه» لما كنّا بعيدين جدًّا عن فكرة بودلير. كان دائم الريبة في العامة وفي المتكلمين باسمهم. الثورات بالنسبة إليه شبيهة بالانتقال من

منــزل إلى آخر. والتقدّم فكرة غبيّة، فكرة كسالى «بلجيكيّـين». و لم يحلُ في عينيه من روبيسبيير إلاّ بعض جمله الجميلـــة. بينمـــا اعتـــبر «المارسييّز» نشيد أوباش، لأنّه رأى باسمها الأبرياء يموتون ويُقتلون.

«...الثورة تكرّس الخرافة عن طريق التضحية...». هكـــذا رأى. لذلك وقف موقف الناقد من الثورة، ومن الديموقراطيّة. الاقـــتراع أو التصويت بالنسبة إليه هو بحث عن الحقيقة في العدد. وهو أمر بـــاعث على السخرية. لم يؤمن يومًا بأنّ العدد حجّة على الحقيقة، لذلـــك رفض الديمقراطيّة المبنيّة على فكرة العدد. وفي رسالة إلى أنســيل (٥ مارس\آذار١٨٥٢) كتب يقول: «...لم تربي عند الإقتراع...كـــان ذاك عن اختيار...ولـــو كـــان لي أن أصـــوّت، لمـــا صوّتـــت إلاّ لنفسي...»

والداندي، كما رأينا في الفقرات السابقة، شاعر انتحاريّ. أي أنّه يعيش كما يكتب ويكتب كما يعيش. ولا نتيجة لهذا التماهي بـــين الكتابة والحياة إلاّ الموت. لم يكن بودلير من الشعراء الذيـــن يصـــحّ معهم الفصل بين التجربة الحياتيّة والتجربة الشـــعريّة، بـــين الأدب والأديب. كان دانديًّا .

والداندیزم هو أن تكون دائمًا كما أنت. ولو لم يكن كذلك لمـــا حدث لأزهار الشرّ ما حدث. فالرقابة لم تحاسب نصوصًا، بقدر مـــا

حاسبت دين الشاعر، وأخلاقه، ونظرته إلى السياسة والمجتمع. ولـو لم يكن كذلك، لما عانت النصوص التي بين أيدينا ما عانته من«غربلـــة وتهذيب ». لقد ابتدع بودلير في هذه اليوميّات نوعًا أدبيًّا جديـــدًا، ولعلّه منح «الشـــذرات» أخـــيرًا، أوراق اعتمادهـــا الأدبيّ. إلاّ أنّ الناشرين لم يهتمّوا بذلك، بقدر ما همّهم ما في ثناياها من بـذاءات أو شتائم. وقد أصاب النقّاد الذين رأوا أنّ اليوميّات، من هذا الجـــانب أيضًا، لا تقلّ قيمة عن أزهار الشرّ.

كان بودلير يعيش شروخه وتقطّعه بين وجوهه المتعدّدة والمتقابلـة، وتمزّقه بين أقطاب التجاذب التي كنّا بصدد تعدادهـــا، بطريقـــة لا يمكن » أن تفضي إلاّ إلى الانفجار. وهكذا كان أســـلوبه في هـــذه النصوص : الشذرة، اللمعة الخاطفة، القذفة الصاروخيّة المتألّفة مـــن عناق الصورة بالفكرة. قريبًا من شظايا «الصواريـــخ»، قريبًـــا مـــن الإشراقات المصاحبة لاندلاع الحرائق، والتي سرعان ما تواجه اقتضابها الاستفزازيّ، بإطالة مفاجئة، استطراد لا متوقّع سرعان ما «يعتـــذر» عن نفسه. أسلوب في شكل «أكورديون» ذي صمـــت موســـيقيّ صارخ. كما لو أنّه احتضار يتمطّط، لا يريد أن يغادر قبل أن يرســـخ في الذاكرة.

هذه المراوحة بين الاقتضاب والاستطراد سلاح فتّاك، يمكّن النصّ من أن يكون حادًّا، مذبّبًا، كحدّ المنشار. ويفسح المجال إلى عدم الإنتظام، أحد شروط الجمال في نظر بودلير. ويبرّر أخيرًا، القفز من موضوع إلى آخر في ما يشبه التفكّك، الذي سرعان ما يبدو للنظرة الشاملة عقدًا منتظمًا في خيط محكم. ثمّ سرعان ما يغدر بهذه النظرة، منفتحًا على المجهول، مثل نقطة نهاية لا ينتهي بها أيّ شيء. هكذا يترك بودلير أغلب شذراته، إن لم نقل قصائده، إن لم نقل أغلب ما نشر، في وضع «عدم الإكتمال». ما يسمّيه بعض النقّاد **L'Inachevé**. (هل هي استراتيجيا الفشل في الحياة وقد حوّلت إلى استراتيجيا كتابة؟)

ثمّ الخلط بين التراجيديا والسخرية. بين الضحك والجديّة، دون الوقوع في التهريج. خلخلة النصّ بجملة إنجليزيّة أو لاتينيّة. ثمّ الاستعانة بـ «القصاصات» (هل هو الكولاج؟ هل نوع من التغريب البريشتيّ قبل الأوان، مطبّقًا في الكتابة على طريقة بودلير؟) ثمّ الحركة اللولبيّة الشبيهة بتقنيات الأرابيسك، الشبيهة بحركات المنجّمين الناظرين

في الأبراج. كتابة رؤيويّة، لأنّ الشاعر الدانديّ راءٍ قبل كلّ شيء. رؤيا ظلّ بينها وبين متلقّيها حجابٌ كثيف، مثرٍ، ومتفاقم.

حجابُ سمّاه بودلير «سوء التفاهم» (Le malentendu)، سوء التفــاهم الذي لولاه ما حدث لأزهار الشرّ ما حدث، ولولاه ما عانى بودلــير ما عانى، ولولاه ما قامت للعالم قائمة. لذلك ربّما، رضي به طالعًــا يسم حياته. ولعلّه أوّل من أحكم خيوطه وألقى بها بينه وبين النــاس، وبينه وبين رؤياه. ففي آخر الرؤيا، عند حافة المستقبل، ثمّة الهاويــة. الهاوية المرعبة التي تفتح فمها لابتلاع كلّ شيء.

لم يكن بودلير متشائمًا ولا متفائلاً. كان صاحيًا فحسب. ولعلّــه لم يحشّش و لم يشرب و لم يرتكب كلّ ما ارتكب من نساء وســـهر وهلاك، إلاّ ليحمل هذا الصحو العنيد، كما حمل سيزيف صخرتــه. صحو يحثّه في كلّ لحظة، على أن يعيش ويكتب بشهوانيّة مســتميتة، لأنّ المستقبل خراب ودمار وهاوية. فإذا نحن أمام نصوص في هيئـــة حفرٍ عميقة، آبار لا غور لها، هويٌّ نرى سطحها، لكن لا قرار.

٤ ــ لماذا بودلير الآن؟ ولماذا الترجمة؟

«هل تعرف لماذا حرصت على ترجمة إدغار آلان بو بهذا الحماس؟
لأنّه يشبهني...»

شارل بودلير. الرسائل

إجابة مغرية، تلك التي برّر بها بودلير تعامله مع أدب إدغـــار آلان بو. وقد تكون كافيةً لتبرير كلّ ترجمة. لكنّنا لن نكتفي بهـــا هنـــا، والآن. لماذا؟ ربّما لإحساس متزايد بأنّ بودلير ضروريّ لفهم نهايــات هذا القرن العشرين، الذي نسمع صدى خطواته الأخيرة تتلاشـــى إلى غير رجعة، مخلّفة وراءها الأهمّ: علامات شاهدة، علامات محـــــض، مثل أيدٍ بيضاء تلمع في العتمة، مشيرة إلى بعض ما سنكون عليـــه في لاحق القرون، قبل أن يلتهم كلُّ شَيء كُلَّ شيء.

بودلير ضروريّ لنفهم أنفسنا أكثر. لأنّه أحدُ الذين أنجبونا بشـكلٍ مَا (ولْيَكُنْ باختلافنا عنه) قبل أن تصبح الولادة إجـــهاضًا والأُبُــوّة نقمة. أليس تاريخ البشريّة حصادَ بذورٍ (منويّة؟) متناثرة، ألقى بهـــا مُبْدِعُون أو مخاليق أسطوريّون هنا وهناك، دونما احتفال كبير؟ ولنا أن نتصوّر تلك البذور محمولة على ظهور نملاتٍ صغيرة، تنـــوء بحمْـــلِ أسمائها: بروميثوس، سقراط، جلجامش، المتنبّي، شهرزاد، إبن رشـد،

الجازية، شكسبير، جحا، ماركس، آليس في بلاد العجائب، نيتشه، فاغنر، دون كيشوت، بيكاسو، السيّاب، دي ساد، موريس بيجار، شارلي شابلين... وكلٌّ منهم (في هيئة نملة دؤوب) يفتتح له مسربًا في متاهة الحياة أو في أسطورة الحياة (ما الفرق؟)، ويقطع شوطه ويمضي، وهو غالبًا لا يعلم (أو لا يُرادُ لهُ أن يعلم) أنّه كان يغيّر الحياة ويغيّرنا.

بودلير كان مثل هؤلاء، شهابًا مُخْصِبًا في تقاطع بدايات ونهايات عديدة. عايشَ أو بعث إلى الحياة ظواهرَ هي الآن ترفل في أسمائها البرّاقة: كلاسيكيّة، حداثة، ما بعد الحداثة، وغيرها كثير. سمَّى بعضَها وحدَسَ في بعْضِها وقاوم بَعْضَهَا وفتح الطريق أمام بعضها الآخر، مثل كلّ المبدعين الكبار الذين تجد في أعمالهم مهما تأخّرت أو تقدّمت في الزمن، صدى ما عرفته الإنسانيّة قبلهم وبعدهم، من لحظات مشرقة، إشكاليّة، دائمة الجِدّة والتوهّج، فكأنّهم فعلاً، «يتنبّؤون بالماضي ويتذكّرون المستقبل».

ترى لماذا ظلّ فاعلا في الذاكرة الابداعيّة، و لم يتحوّل إلى مجرّد علامة تالفة على خطوة سالفة في طريق الإبداع؟ سؤال محرق، كثيرًا ما يباغتنا أمام أمثال بودلير، دون أن نجد له الجواب الشافي.

هل لأنّه لم يكن مثل «مبدعي الدرجة الثانية» حسب تعبير فولتير، الذين «يمتلكون روح عصرهم، دون أن تكون لهم تلك الروح القادرة على العبور إلى اللحظة الأخيرة للأبديّة»؟

أم لأنّه أثبت أنّ المبدع الحقيقيّ هو الذي يقطع ويصل في الوقت نفسه. هو الذي يتمكّن من تحقيق المعادلة المستحيلة، بأن يكون جديدًا ومفتوحًا على المستقبل، وأن يظلّ في الوقت نفسه، على صلة بكلّ ما هو مضيء ومصيريّ وأبديّ في الماضي. أي أن يكون «قطيعة في التواصل \ تواصلا في القطيعة».

هذا النهج، هذا التمشّي الواضح والمنحوت من وجع ومعاناة، هو ما سيظلّ حيًّا في بودلير، ودائم الحضور، لأنّه مستعصٍ على التقادم أكثر من أيّ شيء آخر. وهو ما يجمعه بكلّ المبدعين الذين تظلّ تحتفل بهم العصور. إنّه أحد أهمّ الدروس التي تحفل بها هذه اليوميّات، بإضاءة مختلفة عمّا جاء في كتاباته الأخرى.

من خلال هذه اليوميّات، كما في كلّ نصوصه، وإن بدرجات متفاوتة من الوضوح، يبدو بودلير ملحًّا على الإسهام في كلّ ما هو زمنيّ، مصرًّا على المشاركة في كلّ ما من شأنه أن يصنع العصر، لكن مع التروع الدائم إلى ما هو أبديّ وخالد. إنّه دائم الحرص على الإنصات إلى روح العصر وفكره في كلّ تجلّياتهما، مهما تناقضت

هذه التجلّيات أو تمزّقت بين حسّ دينيّ ونزوع شيطانيّ، بل إنّه دائم الحرص على عيش هذا التمزّق وجعله جسرًا يؤالف بين شرط الانسانيّة وشرط الشعريّة، دون الوقوع في أيّ منظومة مذهبيّة أو عقائديّة أو مدرسيّة. لذلك دعا إلى الاهتمام بالعقل دون إغفال الروح، والاهتمام بالروح دون إهمال اللغة، والاهتمام باللغة دون إهمال الفكر، والاهتمام بالفكر دون إهمال الواقع، والاهتمام بالواقع دون إهمال الخيال، ومن ثَمَّ الوصول بالشعر إلى تحقيق المعادلة الصعبة: اكتشاف ما هو روحانيّ فيما هو لغويّ، وما هو برّاني في ما هو باطنيّ، وما هو فرديّ في ما هو جماعيّ، وما هو فوق طبيعيّ ولنقل سورياليّ في ما هو من صميم الواقع. والعكس صحيح. لقد أصاب النقّاد الذين تحدّثوا عن تعامل بودلير مع الشعر بوصفه آلة سحريّة مثل «قلنسوة العبور» في الخرافات القديمة، قادرة على ردم الفجوات بين الأشياء والأسماء، بين الأصوات والروائح، بين الأزمنة والأمكنة، بين الواقع والخيال... وقادرة على فتح نوافذ وإلقاء جسور بين الأطراف المتقابلة في «الظاهر»، تلك الأطراف التي تكشف للشاعر\الساحر\ الرائي، عن صلاتها الحميمة بعضها ببعض. هكذا يصبح الشعر مجال التحقّق الذي لا يُغفل أيّ شرط من شروط إنسانيّة الإنسان. وهكذا يصبح بودلير، حياةً وأثرًا، نموذجًا لهذا

التحقّق المستمرّ. ومن ثَمّ قدرتُه على اختراق زمانه، ومن يدري، لعلّه يخترق الأزمنة جميعها.

عرف القرّاء بودلير عن طريق أزهـــاره «الشـــرّيرة» وقصـــائده «المنثورة»، لكنّهم نادرًا ما اهتمّوا بنصوصه الأخرى. وكان لابـــدّ أن يشير بعض النقّاد والمفكّرين إلى أنّ بودلير الشاعر والمترجم، قد يكون غطّى على بودلير «الآخر»، كما يبدو في نقده الفنّـــي وفي معاركـــه الصحفيّة ويوميّاته. وإذا صحّ هذا الأمر بالنسبة لقرّاء الفرنسيّة فـــهو أصحّ بالنسبة للقرّاء العرب. ممّا يجعل ترجمة هذه اليوميّات إلى العربيّـــة (إن لم تكن الترجمة الأولى) أقلّ ضررًا ممّا لو ظلّت غير مترجمة.

وقد بحثنا مطوّلاً عن هذه اليوميّات في اللغة العربيّة، وسألنا عـــددا من الأصدقاء (الشاعرين حكمت الحاج ومحمد بن صـــالح، والنـــاقد الدكتور محمد لطفي اليوسفي) فكان الرأي أنّها لم تترجم من قبل.

غير أنّ السبق بترجمة نصّ لأهميّته الكبيرة، أو لملء شغورٍ مَـــا، أو إعادة ترجمته لمزيد من لَفْتِ الأنظار إليه، لا يكفي مـــبرّرا للترجمـــة عمومًا، ولترجمة يوميّات بودلير بصفة أخصّ. ثمّة لذّة خاصّة في متابعة بودلير وهو يكتب، ويتعرّى، في مجال آخر غير مجال النقد أو الشـــعر. لذّة تكاد تلمس وتُشمّ وتُرى، ربّما هي لذّة إيروسيّة، مثل تلك الـــتي يعرفها هواة التلصلص على الفاتنات من ثقب الباب.

(وأنتَ، على من تتلصلص أيّها الكاتب؟)

هذه الصورة الجانبيّة تقدّم لنا إضاءة لا تقدّر بثمن لشعر بودلير ونقده، لكنّها مهمّة أيضًا كنصّ مستقلّ بذاته. نصّ مجاور للعمل الأساسيّ للشاعر أو الكاتب، يقوم بدورٍ آخر قد تكون الكتابة العربيّة اليوم محتاجة إليه أكثر من أيّ وقت مضى. دور الشهادة على ما يحدث في زمنٍ انتشرت فيه آليّاتُ تزوير الشهادات أوتحريمها وتجريمها. إنّه حلٌّ ممكن(ربّما لم يذهب إليه بودلير عن قصد) لكوابح الرقابة (الذاتيّة والخارجيّة) ولمعضلة عدم تحميل الأثر الفنّي أكثر ممّا يحتمل، بالنسبة إلى علاقته باليوميّ والمباشر. نصّ يُكتَبُ ويوضَعُ في "قارورة" مثل رسائل البحّارة المنسيّين في جُزُرِ الحِكايات القديمة .ثمّ يُلْقَى به إلى البحر. وله أن يصل أو لا يصل. المهمّ أن يُكتب.

آدم فتحي

تونس. ربيع ١٩٩٨

ملاحظات الترجمة والتقديم

تُرجمت هذه اليوميّات عن الأصول الفرنسيّة، بالاعتماد على الكتـــاب التالي:

أعمال بودلير الكاملة. منشورات روبير لافون. باريس.طبعة ١٩٨٠

BAUDELAIRE /OEUVRES COMPLETES. ROBERT LAFFONT. Paris ١٩٨٠

تحتوي اليوميّات المترجمة على ثلاث نصوص:

ــ صواريخ: FUSEES

ــ نظافة : HYGIENE

ــ قلبي عاريًا: MON COEUR MIS A NUE

أرفق ميشيل جاميه هذه النصوص، في الطبعة المذكورة أعلاه، بعدد من الحواشي (قرابة العشرين حاشية) أُشير إليها بالحرفين الأوّلين من اسمه: (م.ج). وكان لابدّ من إمداد القارئ العربيّ بتوضيحات أخرى لتسليط مزيد من الضوء على الأثر، ووضعه في إطاره التاريخيّ، وللتعريف ببعض الشخصيّات المذكـورة فيه.

هذه الملاحظات الإضافيّة (قرابة المائة) يجدها القارئ مذيّلة بالحرفين الأوّلين من اسم المترجم:(آ.ف).

ظهرت هذه النصوص في طبعات أخرى، أطّلعنا من بينها على طبعة:

أندريه غيّو عن دار غاليمار

BAUDELAIRE/Fusées/Mon coeur mis à nu/La Belgique déshabillée, Edition d'André Guyaux, C.FOLIO. GALLIMARD.١٩٩١

تتضمّن طبعة أندريه غيّو بعض الاختلاف في تبويب فقرات النصـــوص، لم نأخذها بعين الإعتبار عند الترجمة. إلاّ أنّنا استفدنا من مقدّمة هذه الطبعة، ومن المعلومات الواردة في هوامشها.

استفدنا في المقدّمة: «يوميّات الكائن الأوركســـــترالّي» وفي حواشـــي الترجمة، من أعمال بودلير الكاملة، الطبعة المذكورة، ومن عدد من الدراســات النقديّة نخصّ بالذكر منها:

CLAUDE :Baudelaire/Oeuvres complètes (RB.١٩٨٠) Préface/ - ROY

JAMET: Notices/ Baudelaire/Oeuvres complètes MICHEL - (RB.١٩٨٠)

BRUNEL/ HENRI PIERRE :Encyc/Universalis (CD.١٩٩٧) - LEMETRE

M.RAYMOND: De Baudelaire au surréalisme (Corti.١٩٤٠) -

L-J. AUSTIN: L'Univers poétique de - Baudelaire.(Mercure.١٩٥٦)

J-P.Sartre: Baudelaire.(Gallimard.١٩٦٣)-

صواريخ

صواريخ ١

يظلّ الدين مُقَدَّسًا وإلَهِيًّا، ولو كان اللهُ غيرَ موجود.
الله هو الكائن الوحيد الذي لا يحتاج إلى أن يُوجَد كي يحكُم.
مخلوقات الفكر أكثَرُ حياةً من المادّة.
الحبّ هو الميل إلى البغاء. بل لا وجود لمتعة مهما كانت سامية، لا يمكن إرجاعها إلى البغاء.
في عرض مسرحيّ أو حفلة راقصة، كُلٌّ يلْتَذُّ بالكلّ.
ما الفنّ ؟ إنّه بغاء.
مُتْعَةُ أن تكون بين الحُشُود، هي تعبير غامض عن الاِلْتِذاذ بتكْثِير العدد.
كلّ شيء عدد. العدد في كلّ شيء. العدد في الفرد. النشوةُ[1] هي عددٌ مَا.
الميلُ إلى التركيز المثمر يجب أن يعوّض لدى الإنسان الناضج، الميلَ إلى تبديد الذات.

---

[1] أورد بودلير كلمة ivresse أكثر من مرّة في هذه الشذرات، في مواقع ملتبسة، تحتمل المعنيين: النشوة بصفة عامّة، والنشوة التي يحدثها الخمر بصفة خاصّة. وقد استعملنا لترجمتها كلمة "نشوة" مرّة وكلمة "سُكْر" مرّة أخرى، حسب اجتهادنا في فهم السياق.(آ.ف)

قد يتفرّعُ الحبّ عن شعور سخيّ، هو الميل إلى البغاء، سرعان ما يفسده الميل إلى التملّك.

الحبّ يتوق إلى الانفصال عن ذاته، إلى الالتحام بضحيّته كالغالب بالمغلوب، مع المحافظة على امتيازات الغازي.

مُتَعُ القَوَّاد تُذَكِّرُ بالمَلاَكِ والمالِكِ في الوَقْتِ نَفْسِه. إنّها رحمة وشراسة. بل إنّها مستقلّة حتّى عن الجنس والجمال والنوع الحيوانيّ.

الظلُمات الخُضْر في أَمْسِيَةِ الفصل الجميل الرطْبَة.

العمق الهائل للفكرة في العبارة السوقيّة: ثقوب أحدثتها سلالات من النمل.

طُرْفَةُ الصيّاد، في ما يختصّ بما بين الشراسة والحُبّ من علاقة وثيقة.

صواريخ ٢

في أنوثة الكنيسة، كسبب لسيادتها المطلقة.

في اللون البنفسجيّ (الحبّ المكبوت، الغامض، المُحجَّب، لون الراهبة المُقْطَعة).

الكاهن عظيم، لأنّه يدعو إلى الإيمان بحشد من الأشياء المدهشة.

حِرْصُ الكنيسة على أن تفعل كلّ شيء وأن تكون كلّ شيء، هو قانونٌ من قوانين الفكر البشريّ.

الشعوب تعبد السلطة.

الكَهَنَةُ خَدَمُ الخَيال ومُتَحزِّبوه.

المَلَكِيّةُ والكنيسة، شعارٌ ثوريّ[٢].

---

(٢) استخدم بودلير في هذه الشذرة كلمتي: Le trône et l'autel. وترجمتهما الحرفيّة هي: العرش والمذبح. وهو تعبير يشير إلى تحالف الكنيسة والملكيّة على امتداد التاريخ الأوروبيّ والفرنسيّ تحديدًا وما أثاره هذا التحالف من تمرّد وثورات. أمّا كلمة maxime، التي تفيد معاني الحكمة والمثل السائر أو القول المأثور، الذي يفصح عنه بوثوق غير قائم على حجّة، فقد فضّلنا هنا استخدام كلمة "شعار" في ترجمتها، لارتباط هذه الكلمة بالسياق "السياسيّ والإيديولوجي الذي تحيل إليه كلمة "ثورة". وقد يكون من المفيد الاطّلاع على الفقرة التالية التي أوردها ديورانت في قصّة الحضارة (الكتاب السابع. الفصل السادس والثلاثون.ص٣٩٧): «...ولقد كانت معظم الثورات السابقة، ثورات إمّا على الدولة وإمّا على الكنيسة، وندر أن نشبت ضدّهما معًا في وقت واحد...أمّا الثورة الفرنسيّة فإنّها

أ.ج. أو المُغَامِرَة الفَاتِنَة[3]
النشوةُ الدينيّة للمُدُنِ الكَبيرة. ـــ حُلُولِيّة.
أنا الجميع، الجميع أنا.
دوّامة.

هاجمت الملكيّة والكنيسة جميعًا، واضطلعت بمهمّة ومخاطرة مزدوجة، هي مهمّـــة الإطاحـــة بالركيزتين الدينيّة والدنيويّة للنظام الاجتماعيّ القائم...» (آ.ف)

[3] أ.ج (E.G) أو المغامِرة الفاتنة. المرأة نفسها التي أهداها بودلير قصيـــــدة "ســـيزينا" في "أزهار الشرّ": إليزا نييري (Elisa Nieri) المعروفة بعطفها علـــــى الثوريّـــين الإيطـــاليّين وصديقة السيّدة ساباتييه (Mme Sabatier)(م.ج).

أعتقد أنّي لاحظتُ قبْلاً، أنّ الحبّ شديد الشبه بجلسة تعذيب أو عمليّة جراحيّة. لكنّ هذه الفكرة قابلة للتطوير بأكثر الأساليب مرارة. فحتّى إذا كان العشيقان متيّمين ومفعمين بالرغبة المتبادلة، فإنّ أحدهما سيكون دائمًا أكثر هدوءً وأقلّ تفانيًا من الآخر. أحدُهما سيكون الجرّاح أو الجلاّد. أمّا الآخر فهو الموضوع أو الضحيّة. هل تنصتون إلى هذه التأوّهات كمقدّمات لتراجيديا فقدان الشرف، وهذه الأنّات، هذه الحشرجات، هذه الصرخات؟ من الذي لم يُطلق مثلها؟ من الذي لم يعمل جاهدًا على ابتزازها؟ وهل ترون أبشع من هذا في الإستنطاق الذي يمارسه محترفو تعذيب مَهَرَة؟ عُيونُ المُرَوْبِص تلك المقلوبة، وهذه الأطراف التي نتأت وتصلّبت كما لو أنّ تحتها بطاريّة كهربائيّة، لا السُكْرُ ولا الهذيانُ ولا الأفيونُ في أشدّ الحالات عُنْفًا، باستطاعته منحنا نماذج أكثر بشاعة وغرابة. والوجه البشريّ الذي ظنّه "أُوفيد"[٤] مخلوقًا كي يعكس النجوم، هاهو لا يعبّر إلاّ عن

[٤] أوفيد (Ovide) أو أوفيديوس: شاعر لاتينيّ معروف ولد في نهاية القرن الأوّل قبل ميلاد المسيح، وتوفّي في بداية القرن الأوّل لميلاده. (٤٣ ق.م-١٨ ب.م). اشتهر له كتاب "التحوّلات". ومنه المقطع الذي يشير إليه بودلير: «...وَهَبَ الإنسانَ وجها أعلى من الوجوه الأخرى، رغبة منه في أن يتأمّل السماء، كلّما رفع عينيه إلى الكواكب...» وقد

ضراوة مجنونة، بل ها هو يرتخي في ما يشبه الموت، إذ أنّي سأرتكب ذنبًا حقًّا لو أطلقتُ كلمةَ نشوة، على ما هو أشبه بالتشنّج.

ـــ لعبة فظيعة تلك التي لابدّ لأحد لاعبيها من أن يفقد عنان ذاته.

طُرِحَ أمامي ذات مرّة سؤالٌ عمّا يُمثّل أكبر متعة في الحبّ. أجاب أحدهم بعفويّة: أن تأخذ. وأجاب آخر: أن تهب نفسك. قال هذا: متعة كبرياء، وقال الآخر:لذّة خضوع.كان كلٌّ من هؤلاء البذيئين يتحدّث على طريقة «محاكاة يسوع المسيح»[٥]. وأخيرًا وُجِدَ طُوباويّ وقح ليؤكّد أنّ أكبر متعة في الحبّ، هي أن ننتج مواطنين للوطن.

كتب أُوفيد في "فنّ الحبّ" واعتبر شاعر الإيروطيقا الأوّل، وذهب بعض المحلّلين إلى جعله المصدر الأوّل لمفهوم "الليبيدو". وقد تعرّض إلى محن عديدة في حياته، واعتبر "ماجنًا"، واتّهم بالتعدّي على أخلاق العصر، ونُفاه أوغسطس (Auguste) بعيدًا عن روما. ولا شكّ أنّ في هذه "المحن" مايكفي لجعله قريبًا من "نماذج" بودلير.(آ.ف)

[٥] محاكاة يسوع المسيح (Imitation de Jesus-Christ): عنوان كتاب دينيّ لمؤلّف مجهول ظهر في القرن الخامس عشر باللغة اللاتينيّة (De imitatione Christi) وذاع في أرجاء العالم المسيحيّ، ويتضمّن مجمل الأفكار التي دافعت عنها الحركة الروحيّة المسمّاة Devotio moderna. وتلحّ هذه الحركة على أولويّة الحياة الباطنيّة للمؤمن بالمقارنة مع تصرّفاته. كما تعتبر الصلاة الفرديّة أهمّ بكثير من الطقوس الجماعيّة. ومعها تحوّل النسك والتفاني في العبادة إلى ممارسة شخصيّة باطنيّة داخل نفس المؤمن، لا تتطلّب بالضرورة، الإفراط في تعذيب الجسد للتكفير عن الذنوب أو للزهد في الدنيا.(آ.ف)

أمّا أنا فأقول: اللذّة الوحيدة والقصوى للحبّ تكمن في اليقين بإتيـان الشرّ.

ـــ الرجل والمرأة يعرفان منذ الولادة أنّ الشرّ مكمنُ كلّ لذّة.

مخطّطات. صواريخ. مشاريع ٤

الكوميديا على طريقة سلفستر[٦]. بارْبَرا[٧] والخروف.
شينافار[٨] خلق نمطًا فوق طاقة البشر.
أُمنياتِي إلى لُوفايان[٩].
مُقَدِّمَة. خليط من الصوفيّة والظُرْف.
الأحْلام ونظريّة الحلم على طريقة سويدنبورغ[١٠].

---

[٦] الكوميديا على طريقة سلفستر: تيوفيل سلفستر Théophile Silvestre (١٨٢٣-١٨٧٦): ناقد فنّي حاول عبثًا، مثل بودلير، أن يسمح له ديلاكروا (Delacroix) بإعادة نشر مقالاته، رغم أنّه (أي سلفستر) "لم يكن يعيرها اهتماما كبيرًا. "(م.ج).

[٧] شارل باربرا Charles Barbara: (١٨٢٢-١٨٨٦):أحد أصدقاء بودلير(آ.ف).

[٨] بول شينافار (Paul Chenavard): مفكّر ورسّام فرنسيّ (١٨٠٧ ــ ١٨٩٥)، صديق ديلاكروا (Delacroix)، كان يدافع عن "فنّ يعلّم التاريخ والأخلاق والفلسفة". وكان بودلير يسخر من هذه النظريّة التي سمّاها نظريّة "الفنّ الفلسفيّ". وقد طُلِبَت من شينافار لوحات لتزيين "البانتيون" (مدفن العظماء) في باريس، ثمّ أُجهض المشروع، وكان لذلك أسوأ الأثر في مسيرته. (آ.ف)

[٩] لوفايان (Levaillant): المرجّح أنّه أحد أقارب بودلير من الأمّ. ويذكر بعض كتّاب سيرة بودلير أنّ ثلاثة من عائلته كانوا يحملون هذا اللقب، وثلاثتهم كانوا من العسكريّين. (آ.ف)

[١٠] سويدنبورغ (Emmanuel Swedenborg): عالِم وجيولوجيّ ومهندس صاحب اختراعات عديدة ومفكّر سويديّ كبير (١٦٨٨ــ ١٧٧٢)، بشّر بالعديد من النظريّات الحديثة المتعلّقة بعلم الذرّة وتكوين النظام الشمسيّ إلخ... ثمّ تحوّل إلى الروحانيّات

فِكْرة كَامبل[11].

التركيز. قوّة الفكرة الثابتة.

الصراحة المُطْلَقة، وسيلةُ تَفَرُّد.

روايَةُ أَشْياء مُضحكة بعبارات طَنّانة.

والتصوّف ونشر مؤلّفات عديدة تأثّر بها كثيرون مثل كانْط (Kant) وبلــــزاك (Balzac) واستلهم منه بودلير عددًا من أفكاره المتعلّقة بعالم الأحلام والرؤى وغيرها. راجع مقدّمـــة المترجم(آ.ف)

(11) فكرة كامبل (Campbell): "الإنسان المتعوّد على العمل، قادر على القيام بأيّ مهمّـة يحدّدها لنفسه، فبالنسبة إليه، الدافع المُحَرِّكُ هو الضرورة وليس الإلهام." فكـــرة أوردهـــا إميرسون في كتابه المعروف.The Conduct of life (م.ج)

ايحاءات. صواريخ

عندما يأوي المرءُ إلى فراشه، تتمثّلُ الرغبة الدفينة لجميع أصدقائه تقريبًا، في أن يروه يموت. بعضهم للوقوف على أنّ صحّته كانت أسوأ من صحّتهم. والآخرون يخامرهم أملٌ مَا، في معاينة احتضار.

الأرابِسْك، أكثر أنواع التصوير رَوحَانِيَّة.

صواريخ. ايحاءات ٥

رجل الأدب يُحرِّكُ رُؤوس أموال، [هو أيضًا]، ويُثِـــيرُ الرغبـــةَ في رياضةِ جمباز ذهنيّة.

الأرابِسْك هو أكثرُ أنواع التصوير مثاليّةً.

نحبّ النساء بقدر ما يَزيدُ اختلافُهُنَّ عنّا. إنّ حبّ النساء الذكيّـــات مُتعةُ لُوطِيّين. وهكذا فإنّ الحيوانيّة تُلْغِي اللواط.

قد لا تتنافى رُوحُ التهريج مع إثارة الشَفَقة.لكنْ قَلَّمَا يحدث ذلك.

الحماسُ الذي يتّجه إلى غير الُمجَرَّدَات، هو علامة ضعف ومرض.

النحافةُ أَكْثَرُ عُرْيًا وفُحْشًا من السِمْنَة.

صواريخ ٦

سماء تراجيديّة. نعتٌ ذو طابع مُجرّدٍ مطبّقٌ على كائن مادّي.
الإنسانُ يتشرّب النورَ مع الهواء المحيط. هكذا يكون الشعب على حقّ حين يقول: إنّ هواء الليل غير صالح للعمل.
الشعبُ عاشقٌ للنار منذ الولادة.
ألعاب ناريّة، حرائق، مُشعِلُو حرائق.
لو افترضنا أنّ عاشق النار منذ الولادة هو مجوسيّ من يومه، إذَنْ لأمْكَنَنا خَلْقُ قصّة.
الخَطَأُ في التعرّف على الوجوه، هو نتيجة خسوف الصورة بفعل الوهم الذي يولد منها.
تَذَوَّقْ إذَنْ مَبَاهِجَ حَياةٍ خَشِنَة. وصَلِّ، صَلِّ بدون انقطاع. الصَلاةُ مُسْتَوْدَعُ قُوّة. (*هيكل الإرادة. ديناميكا أخلاقيّة. سحرُ الأسرار الدينيّة. قواعد الروح الصِحِّية.*)
الموسيقى تحفر السماء.
قال جان جاك [روسو][١٢]: لم أدخل مَقْهى إلاّ تملّكني شيءٌ من الاضطراب. إنّ في مراقَبَةِ التذاكر في مسرح، بالنسبة إلى الطبع

---

[١٢] جان جاك روسو: أنظرهوامش قلبي عاريًا.(آ.ف)

الخجول، ما يشبِه محكمةً في الجحيم.

مَا مِنْ فتنةٍ للحياة حَقيقيّة غير فتنة *اللعب*.

ولكن ماذا لو كنّا غير مُبالين بأن نكسب أو نخسر؟

إيحاءات. صواريخ ٧

الأممُ لا تنجبُ العُظماءَ إلاّ مُرْغَمةً، شأنُها في ذلك شأن العــائلات. وغالبًا ما تعمل قدر جهدها كي لا يكون لها عظماء. هكذا، يحتـاج الرجل العظيم كي يكون، إلى قوّة هجوميّة أكبر من قــوّة التصـدّي الناشئة عن تضافر جهود ملايين الأفراد.

في ما يختصّ بالنوم، تلك المغامرة الكئيبة لكلّ ليلة، كان يمكن القــول إنّ الناس ينامون يوميًا بجرأة غير معقولة، لو لا أنّنا نعرف أنّها جــرأة الجاهل بالخطر.

ثمّة جلُودٌ قَوْقَعَات، معها يكفّ الاحتقار عن أن يكون انتقامًا.

أصدقاء كُثر، قفّازات كثيرة. الذين أحبّوني كانوا أُناسًــا محتَقَريــن، وكنت سأقول جديرين بالاحتقار، لو أنّي حرصت على مدح النــاس الشرفاء.

جيرارْدان[١٣] يرطن باللاتينيّة!

---

[١٣] الأرجح أنّه إيميــل دي جــيراردان (SAINT- MARC Emile de Girardin (١٨٠٦–١٨٨١) مدير صحيفة لابريس، التي كانت تدافع عن نظريّة التقدّم الــتي كــان يضيق بها بودلير. والجملة التي أوردها بودلير باللاتينيّة Pecudesque locutoe (آ.ف)

كان لابدّ لمجتمعٍ شكّاكٍ من أن يُرْسِل روبير هودن[١٤] إلى العـــــرب، كي يصرفهم عن المُعجزات.

[١٤] ج.أ. روبير هودن (J-E Robert Houdin): فنّان ألعاب سحريّة فرنسيّ (١٨٠٥ — ١٨٧١)، يُعتبر" أبا السحر الحديث"، وقف ضدّ المشعوذين الذين يريدون إحاطة ألاعيبـــهم بهالة عجائبيّة وخارقة، واعتبرهم غشّاشين. سنة ١٨٥٦ أوفدته الحكومة الفرنسيّة إلى الجزائر لمقاومة نفوذ "الدراويش" و"الأولياء"، بتقديم ألعابٍ تدحض "معجزاتهم".(آ.ف)

صواريخ ٨

تلك السفن الجميلة والكبيرة المتأرجحة (المُترنّحة) بشكلٍ يكـــاد لا يبين، على المياه الهادئة، تلك السفن المتينة، ماذا تقول لنا بمـــا يبــدو عليها من فراغ وحنينٍ ؟

ألا تسألنا في لغة صامتة: تُرَى، متى سنرحل في اتّجاه السعادة ؟

أن لا نَنسَى الجانب العجائبيّ في الدراما. ما هو ســـحر، ومـــا هـــو خياليّ.

البيئات والأجواء التي يجب أن تُصاغ منها قصّة كاملـــة. (الإطّـــلاع على آشر[١٥] والرجوع إلى تأثيرات الحشيش والأفيون، العميقة.)

هل يوجد جُنُونٌ رِياضيّ ومجانين يعتقدون أنّ حاصلَ اثنين مع اثنـــين يُساوي ثلاثة؟

بتعبير آخر، هل تستطيع الهلْوسة (إن لم تصرخ هذه الكلمـــات) أن تزحف على نتائج العقل المحض؟

إذا تعوّد إنسان على الكسل والتهويم والخمول، إلى حـــدّ أن يـــترك باستمرار عملَ اليوم مهما كان هامّا إلى الغد. وإذا عَمَدَ إِنسانٌ آخـــر

---

(١٥) آشر (Usher): قصّة لـــ إدغار ألان بو (A. Poe.Edgar) بعنوان "إنهيار بيت آشـــو" كان لها صدًى كبير.(آ.ف)

إلى إِيقاظِهِ كلّ صباحٍ بلسعات من سوطه، واستمرّ في ضربه بلا شفقة، إلى أن يقتنع ذاك الكسول بالعمل، إن لم يكن عن رغبة فعن خوف، أَفلا يمكن اعتبار صاحب السوط صديقًا، وصاحب يدٍ بيضاء على الآخر؟ بلى، بل ربّما استطعنا التأكيد على أنّ المتعة تأتي بعد ذلك، لأسباب أكثر وجاهة من قولنا إنّ الحبّ يأتي بعد الزواج.

كذلك الأمر بالنسبة إلى السياسة.

القِدّيسُ الحقيقيّ هو مَنْ يَسُوطُ الشعب، ويقتله، من أجل خَيْر الشعب.

الثلاثاء ١٣ ماي \ أيار ١٨٥٦

يبدو الشيء جامدًا مَا لم يَشُبْهُ قليل من التشويه.

لذلك فإنّ عدم الإنتظام، أي اللامُتوقّع والمُفاجِئ والمدهش، هو جزءٌ من عناصر الجمال الجوهرية، وعلامتهُ المميّزة.

أَخْذُ نُسَخٍ من ميشال[١٦]

الكتابَةُ لـ: مان[١٧]

---

[١٦] قد يكون ميشيل ليفي Michel Levy، الناشر، وربّما تعلّق الأمر بنسخ من حكايات إدغار آلان بو التي ترجمها بودلير ونشرها ميشيل.(آ.ف)

وويليس[١٨]
وماريا كليم[١٩]
مراسلة ماد. دومي[٢٠].
معرفة هل أنّ ميراس.[٢١]..

---

[١٧] لعلّه وليام مانWilliam W Mann الذي أعار بودلير مجلّة أمريكيّة استعان بها في دراسته عن إدغار آلان بو.(آ.ف)

[١٨] قد يكون ناتانييل باركر ويليس Nathaniel Parker Willis (١٨٠٦-١٨٦٧): وهو ناقد وناشر أمريكيّ صديق إدغار بو.(آ.ف)

[١٩] ماريا كليم (Maria Clemm): خالةُ إدغار ألان بو، التي قد يكون أقام عندها سنة ١٨٣٢ في بلتيمور، موهمًا الآخرين بأنّه في روسيا.(آ.ف)

[٢٠] يبدو حسب غيّو أنّ "ماد" هي اختصار لكلمة "مادام"، أيّ "سيّدة". وهكذا يكون القصد: السيّدة دوماي. راجع هوامش أندريه غيّو. غاليمار.١٩٩١(آ.ف)

[٢١] جول إسحاق ميراس Jules-Isaac Mirès (١٨٠٩-١٨٧١) صاحب جريدتي Le Pays وLe Constitutionnel..وماد[ام] دوماي Madame Dumay جارته.(آ.ف)

ملاحظات. صواريخ ٩

تيودور دي بانفيل[٢٢] ليس مادِيًّا تَمامًا. إنّه نورانِيّ. وشعره تعبير عن اللحظات السعيدة.

مع كلّ رسالة تصلك من دائن، أُكتب خمسين سطْرًا في موضوع لاأَرْضِيّ، تُكْتَب لك النجاة.

ابتسامة عريضة في وجه عملاقٍ جميل.

في الانتحار والجنون الانتحاريّ من جهة علاقتهما بالإحصاء والطبّ والفلسفة.

بريبار دي بوامون[٢٣]

البحث عن مصدر الفقرة التالية:

«*العيش مع كائن لا يحمل لك غير الكراهية...*»[٢٤]

---

[٢٢] تيودور دي بانفيل (Théodore de Banville): شاعر فرنسيّ (١٨٢٣-١٨٩١)، اهتمّ أيضًا بنقد المسرح والكتابة له. وقف ضدّ التيّار الواقعيّ واعتنى باللغة وكان صديق بودلير.أثّر كثيرًا في البرناسيّين وفي شعراء كبار مثل مالارميه (Mallarme) وفيرلين (Verlaine). ويبدو أنّ ماري دوبرون (Marie Daubrun) إحدى عشيقات بودلير، قد هربت معه لفترة.(آ.ف)

[٢٣] بريار دي بوامن (Brierre de Boismont): طبيب أمراض عقليّة، صديق جيوار دي نرفال وألفريد دو فينيي. صاحب دراسة في الانتحار، نشرت سنة ١٨٥٦. قرأه بودلير وهو يفكّر في جين (Jeanne) (م.ج)..

وَصْفُ سينيكا لــ: سيرينوس، ووصْفُ سان جان كريزوستوم لِــــ: ستاغيرا.

الأسيديا[٢٥]، مرض الرُهْبَان.

التيديوم فيتاي[٢٦]

---

[٢٤] المقتطفات التي ذكرها بودلير بخصوص الانتحار والمعاشرة على بغض وسينيكا إلخ... من الدراسة المذكورة لبوامون.(آ.ف)

[٢٥] جون كريزوستوم (Jean Chrysostome): من مؤسّسي السلطة الكنسيّة في عهد الإمبراطور جوليان (Julien). أمّا سينيكا (Sénèque): فهو رجل الدولة والفيلسوف الروماني المولود في قرطبة (٤ ق.م - ٦٥ م) والمتأثّر بالرواقيّين. كان مربّي نيرون (Neron) ومستشاره السياسيّ قبل أن يأمر "التلميذ" أستاذَه بقتل نفسه. وسرينوس (Sérenus) هو صديقه الذي توجّه إليه بمبحث في الأخلاق بعنوان "في اطمئنان الروح"، دافع فيه عن الملاءمة بين حياة التأمّل وحياة النشاط اليوميّ.(آ.ف)

[٢٦] التيديوم فيتاي (Le toedium vitae)، باللاتينيّة في الأصل. نشيد كنائسيّ لشكر الربّ بصفته مانح الحياة.(آ.ف)

صواريخ

ترجمة الفكرة التالية: «*العاطفة تنسب إلى نفسها كلّ شيء*»، وتحليلها[٢٧].

المُتَعُ الرُوحيّة والجسديّة الناشئة عن الزوبعة والكهرباء والصاعقة، ناقوس الخطر الذي تقرعه الذكريات العاشقة، المُعْتِمَة، للسنوات القديمة.

---

[٢٧] الأسيديا Acedia يعتبرها غيّو مرادفاً للسأم Le Spleen في المعنى البودليري للكلمة(آ.ف)

صواريخ ١٠

لقد عثرتُ على تعريف الجميل - الجميل عندي - إنّه شيءٌ مَا متأجّج وحزين، شيءٌ مَا غيرُ محدَّد، يفسح المجال للتخمين. وسأعمد إذا شئتم إلى تطبيق أفكاري على شيء ملموس، وليكن على سبيل المثال الشيء الأكثر جدارة بالإهتمام في المجتمع، وجه امرأة. إنّ الوجه الفاتن والجميل، أعني وجه المرأة، يجعلنا نحلم بالنشوة والحزن في الوقت نفسه، ولكن دون تمييز. إنّه يحتمل فكرة الحنين والإنهاك وحتّى الإكتفاء، وفي الوقت نفسه، الفكرة المضادّة، أعني حيويّة متأجّجة ورغبة في الحياة، مع مرارة منحسرة وكأنّها قادمة من الحرمان أو اليأس. الغموض والندم أيضًا هما من مميّزات الجميل.

الوجه الذكوريّ الجميل لا يحتاج إلاّ في نظر المرأة ربّما - كما يتصوّرها الرجل بالطبع - إلى فكرة الشهوانيّة، هذه التي تغدو في وجه المرأة استفزازًا فاتنًا يزداد جاذبيّة كلّما ازداد الوجه كآبة.

لكنّ هذا الوجه سيحتوي أيضًا على شيء مَا متوهّج وحزين - حاجات روحيّة، طموحات مكبوتة في العتمة، فكرة قدرة هادرة وغير مستعملة، وأحيانًا فكرة لاَمُبالاة انتقاميّة، (إذ يجب أن لا ننسى نموذج الدانْدِي المثاليّ في هذا الموضوع) -كما أنّه قد يحتوي في

أحيان أخرى، على الغموض، وهو واحد من أهمّ شروط الجمـــال. ولأُضِفْ أخيرًا (كي تعرفوا إلى أيّ حدّ أشعر بأنّي حديثٌ في مســألة الجماليّات)، قلت لِأُضِفْ إلى شروط الجمال، التعاسة. وأنا لا أزعـــم أنّ الفرح لا يجتمع مع الجمال، لكنّي أعتقد أنّ الفرح حِلْيَةٌ من أكــثر حليٍّ الجمال سُوقيّةً. بينما الكآبةُ هي إذا صحّ القولُ قرينةُ الجمـــال الرفيعة، إلى الحدّ الذي لا أتصوّر معه (هل أصبـــح دمـــاغي مـــرآةً مسحورة؟) نموذجًا للجمال لا تسكنه التعاسة. وانطلاقًا مـــن هـــذه الأفكار – سيقول البعض: انطلاقًا من هذه العُقَد – يصعب علـــيّ أن لا أختم بأنّ أكثر نماذج الجمال الذكوريّ كَمَالاً، هو إِبليس، علـــى طريقة مِيلْتُون[٢٨].

(٢٨) جون ميلتون(John Milton)، الشـــاعر الانجلـــيزيّ المعـــروف (١٦٠٨-١٦٧٤)، صاحب "الجنّة الضائعة".(آ.ف)

صواريخ ١١

عبادةُ الذات.

انسجامٌ سياسيّ للطبع.

تناغُم الطبع والمَلَكات.

تنمِية كلّ المَلَكات.

المُحافظة على كلّ المَلَكات.

شعائر (سحْرِيّة، طُقوس استحضاريّة).

التضحية والنذْر هما رَمْزَا التبادل وأرقى صِيَغه.

مِيزَتان أدبيّتان أساسيّتان: مَا فوق الطبيعيّة[٢٩] والسخرية.

النظرة الشخصيّة، المظهر الذي تبدو فيه الأشياء أمـــام الكـــاتب، ثمّ إلتواءةٌ ذهنيّة شيطانيّة. مَا فوق الطبيعيّ يشمل المظهر العام والعلامات المُميّزة، أي الكثافة والجرس والشفافيّة والحساسيّة والعمق والصـــدى المُحْدَث في المكان والزمان.

ثمّةَ لَحظات من الوجود يكون فيها الزمن والإمتداد أشـــدّ عُمْقًـــا. ويكون فيها الإحساس بالوجود أقوى بِكثير.

في السحر مُطبّقًا على استحضار الموتى الكِبار، ومخصّصًا لاســـترداد

---

(٢٩) ما فوق الطبيعيّة: هكذا اخترنا ترجمة Surnaturalisme (آ.ف)

العافية وتدعيمها.

الإلهام يحضر دائمًا عندما يريد الإنسان ذلك. لكنّه لا يرحل دائمًــــــا حسب إرادة الإنسان.

في اللغة والكتابة كعمليّتين سحريّتين، كطَقْسَيْ استحضار.

في المظهر عند المرأة المظاهر الفاتنة التي تصنع الجمال هي:

مَظْهَرُ القرف مظهر السيطرة

مَظْهَرُ الضجر مظهر العَزْم

مَظْهَرُ الطَيش مظْهَرُ الشِرّير

مظهر الوَقِح مظهر المريض

مظهر البرود مظهر القطّ، صبيانيّات

مظهر الناظر إلى داخله، لامبالاة وخبث في الوقت نفسه.

تمرّ الروح بحالات تكاد تكون فوق طبيعيّة، يتجلّى أثناءها عمق الحياة بأكمله في أيّ مشهد يُتاح للعين، مهما كان عاديًّا.

يتحوّل هذا المشهد إلى رمز.

كنتُ أقطع الشارع بشيء من العجلة لتفـــــادي العربـــات، حـــين انفصلتْ هالتي[٣٠] عن رأسي ووقعتْ في الوحل. ومن حسن الحـــظّ

(٣٠) استعمل بودلير كلمة Aauréole. وكان بالإمكان ترجمتها إلى قبّعة، لـــولا الســـياق العجائبي الذي أراده، بالربط بين هالة الشاعر كإنسان خارق والهالة النورانيّة الـــتي تعلـــو رؤوس الملائكة والقدّيسين في الموروث المسيحيّ.(آ.ف)

أنّي وجدتُ الوقت لالتقاطها. إلاّ أنّ فكرة بائسة تسلّلت إلى دماغي بعد برهة، كون هذا الأمر فأل سوء. منذئذ وهذه الفكرة ترفض أن تطلق سبيلي، وها هي تسدّ عليّ منافذ الراحة طيلة اليوم.

في ما يختصّ بعبادة الذات في مجال الحبّ، من جهة الصحّة والنظافة والتغسّل والسُموّ الروحيّ والفصاحة.

تطهير الذات ومعاداة البشريّة(٣١).

ثمّة في فعل الحبّ شبهٌ كبير بالتعذيب أو بعمليّة جراحيّة.

ثمّةَ في الصلاة عمليّة سحريّة. الصلاة هي إحدى القُوى الكُبْرَى لطاقة العقل الحيويّة. ثمّةَ هُنا ما يُشبِهُ التواتر الكهربائيّ.

المِسبحة وسيط، وسيلة نقل. إنّها الصلاة في متناول الجميع.

العمل قُوّةُ تَنمية ومُراكمة، ومنتجُ فوائض في المَلَكات وفي النتائج، مثل رأس المال.

اللعب، حتى وإن كان محكومًا بقوّة العلم بين الآونة والأخرى، ومهما كانت مكاسبه، سينهزم أمام العمل البسيط، والمستمرّ.

لو طلب شاعرٌ من الدولة الحقَّ في أن يضع بعضَ البرجوازيّين في

(٣١) التطهير الذاتي ومعاداة البشريّة: Self-purification and anti-humanity. بالإنجليزيّة في الأصل. (آ.ف)

إسطَبله، لأثار الإستغراب. لكنْ لو طلب برجوازيٌّ قليلاً من لحم الشعراء "مَشْوِيًّا "، لَبَدا ذلك أمرًا طبيعيًا جدًّا.

لن يقدر هذا الكتاب على إثارة استنكارِ نسائي أو بناتي ولا حتّى أخواتي.

منذ قليل كان يستأذنها في تقبيل ساقها. وقد اغتنم الفرصة لتقبيل تلك الساق الجميلة في وضعيّة مُعيّنة، بحيث ينطبع مُحيطها على الشمس الغاربة.

بِسْ بِسْ، بَسْبُوسْ، بَسْبُوسِي[٣٢]،

قطّي، ذِئبي، قِرْدي الصغير،

أيّها القرد الكبير، الثعبان الكبير، حمارِي الصغير الكئيب.

هذه التروات اللغويّة المُتكرّرة بإفراط، وهذه التسميات الحيوانيّة المتواترة، إنّما تشهد على ناحية شيطانيّة في الحبّ.

أليس للشياطين هيئة الحيوانات؟ جَمَلُ كازوت[٣٣] - جَمَلٌ وشيطان

---

(٣٢) استعمل بودلير كلمات فرنسيّة، لا تُترجم حرفيًّا، هي: Minette , minoutte, minouille. وهي "تربيجات" تطلق عادة على القطط. وقد حاولت الترجمة الاقتراب من المعنى(آ.ف)

(٣٣) جاك كازوت (Jacques Cazotte): كاتب فرنسيّ ولد سنة١٧١٧ وأُعدم سنة ١٧٩٢. وكان محلّ إعجاب بودليرلاعتنائه بالعجائبيّ الخارق.
ونذكر من مؤلّفاته "حكايات عربيّة" و"الشيطان العاشق"، حيث تتحوّل البطلة إلى جمل.(آ.ف)

وامرأة.

رجل يذهب إلى ملعب الرماية مصحوبًا بزوجته. يصوّب في اتّجـــاه دمية ويقول لزوجته: أتخيّل أنّها أنتِ.

يغمض عينيه ويصيب الدمية ثمّ يقول مقبّلاً يَدَ رفيقته: مَلاَكِي، يجـب أن أشكركِ على مهارتي.

يَوْمَ أصلُ إلى إثارة التقزّز والرعب الكَوْنيَّيْن، أكون قد فُزتُ بالعُزلَة.

هذا الكتاب ليس مجعولاً لنسائي ولا هو لبناتي أو لأخواتي. ما أقلّ مـا أملك من هذه الأشياء.

ثمّةَ جُلُودٌ قَوْقَعات، يكفّ معها الاحتقار عن أن يكون متعة.

أصدقاء كُثر، قُفّازات كثيرة – خَوفًا من الجَرَب.

الذين أحبّونِي كانُوا أُناسًا محتَقَريـــن، وكنـــت ســـأقول جديريـــن بالاحتقار، لو كنت حريصًا على مدح الناس الشرفاء.

الله فضيحة – فضيحة مربحة.

صواريخ ١٢

لا تحتقروا حساسية أحد. حساسية كُلٍّ منَّا هي عبقريّته[٣٤].

ثمّةَ مكَانان فحسبُ، فيهما، تدفع كي يصبح لك حقٌّ في أن تَصْرف: المراحيض العموميّة والنساء.

بالمعاشرة المحمومة وغير الشرعيّة، نستطيع تكوين فكرة عن مُتَعِ زَوْجَيْن حديثيْ العهد بالزواج.

الرغبة المُبَكِّرة في النساء. كنتُ أخلط بين رائحة الفراء ورائحة المرأة. أذكر ذلك...على كلّ حال، كنت أحبّ أمّي لأناقتها. كنت إذَنْ "دَانْدِيًّا" قبل الأوان.

أسْلافِي، أغبياءَ أو مَمْسُوسين، فِي شُقَقٍ فخمة، كلّهم ضحايا أهْواءٍ فظيعة.

أقطار المذهب البروتستاني ينقصها عنصران ضروريّان لسعادة أيّ إنسانٍ ذي تربية حسنة: الكياسة والتفاني في الحبّ[٣٥].

الخلط بين المُضْحِك والتراجيديّ مُسْتَحبٌّ لدى النفس مثل النشاز

---

[٣٤] حساسيّة:Sensibilité. ترد هنا في موقع مشترك بين الدلالتين، الحسّيّة والمعنويّة. (آ.ف)

[٣٥] فضّلنا استعمال كلمتي الكياسة والتفاني في الحبّ لترجمة كلمتي Galanterie et dévotion. وذلك قصد الإشارة إلى سياق أوسع.(آ.ف)

لدى الآذان المُتْخَمة.

الشيء المُسْكِرُ في أن تتعامل بقلّة ذوق، هو تلك المتعة الأرستقراطيّة في أن لا تكون محلّ إعجاب.

ألمانيا تعبّر عن حلم اليقظة بالخطّ، مثل ما تعبّر عنه انجلترة بالمنظور.

عند نشأة أيّ فكرة رائعة، ثمّةَ رجّةٌ عصبيّة تفصح عن نفسها في المُخَيْخ.

إسبانيا تضع في الدين الشراسةَ الطبيعيّة للحبّ.

أُسلوب.

العلامة الخالدة. الأسلوب الخالد والعالميّ. شاتوبريان[٣٦]، ألفونس راب[٣٧]، إدغار ألان بو[٣٨].

---

[٣٦] فرانسوا رينيه شاتوبريان (F.R.Chateaubriand): الكاتب والشاعر الفرنسيّ الكبير (١٧٦٨-١٨٤٨). يقول عنه تيوفيل غوتييه (Théophile Gautier) "إنّه مخترع الكآبة والعاطفة الحديثة". وكان بودلير شديد الإعجاب به. ويعتبره أبا الدانديّة الأدبيّة. أنظر هوامش" قلبي عاريًا"(آ.ف)

[٣٧]

[٣٨] ألفونس راب (Alphonse Rabbe): "رومانسيّ صغير"، مؤلّف "ألبوم مُتشائم" (١٨٣٥ ــ ١٨٣٦).أُعجب به فكتور هوغو وبودلير.[كتب كثيرًا في الانتحار. وانتحر فعلاً سنة١٨٢٩. ولاشكّ أنّ بودلير قرأ كتاباته. وتأثّر بنهايته الانتحاريّة.](م.ج).

٣٨ ــ إدغار ألان بو.صاحب الموقع المتميّز في فكر بودلير ورؤيته الجماليّة.انظر هوامش "قلبي عاريًا".(آ.ف)

صواريخ. ايحاءات ١٣

لماذا لا يحبّ الديمقراطيّون القطط؟ الجواب سهل: القطّ جميل ويوحي بأفكار الترف والنظافة والشهوانيّة الخ...

قليلٌ من العمل مكرَّرًا ٣٦٥ مرّةً، يُنْتج ٣٦٥ مرّةً قليلاً من المال. وهذا يعني مبلغًا ضخْمًا. في الوقت نفسه يكون المجد قد تحقّق.

وهكذا فإنّ مجموعة من المُتَعِ الصغيرة تُحقّقُ السعادة.

إبداعُ القالَب هو العبقريّةٌ. يجب أن أُبدع قالَبًا.

الكُنْسيتُّو[٣٩] أثرٌ رائع.

نَبْرَةُ أَلْفونس رابّ.

نبرة الفتاة الحَظيّة (*جميلتي الرائعة! جنْسٌ قَلُوب!*). النبرة *الخالدة*.

تلوينٌ فَجّ، رَسْمٌ مُفَرَّض بشدّة.

المُغَنّية الأولى وصبيُّ الجزّار[٤٠].

أمّي رائعة. لابدّ من خشيتها ونيل رضاها.

---

[٣٩] الكنسيتّو (Le concetto): الومضة، أوالمفارقة أو اللمعة الذهنيّة. وعلى رأي غيّو، قد تكون الشذرة، كما تتجلّى في "صواريخ"، نموذجا جيّدًا للكنسيتّو.(آ.ف)

[٤٠] المغنّية الأولى La prima donna، بالإيطاليّة في الأصل. عنوان رواية لـــ Clément Burat-Gurgy Edmond et، تتحدّث عن أمّ تدفع بابنتها إلى البغاء.(آ.ف)

هيلدبراند المُتَكَبّر. قَيْصَرِيّةُ نابليون الثالث. (رسالة إلى إدغار ناي) بابا وإمبراطور[٤١].

---

[٤١] هلدبراند Hildebrand: رجل دين، كان هنري الرابع، في جانفي\كانون الثاني سنة ١٠٠٧، قد ظلّ واقفًا على بابه ثلاثة أيّام، قبل أن يمنحه المغفرة. ويشير بودلير هنا، إلى العلاقة بين البابا بيوس التاسع ونابليون الثالث. حيث أنّ هذا الأخير قد حمّل إدغار ناي، المكلّف بمهمّة لدى الفاتيكان، وآخر ورثاء الماريشال ناي، رسالة إلى البابا لعقد صفقة، يتمّ بموجبها إعطاء بعض المكاسب للكنيسة، مقابل مساندتها للسلطة الزمنيّة. ومن ثمّ "القيصريّة".(آ.ف)

صواريخ. ايحاءات ١٤

ماذا يعني الاستسلامُ إلى الشيطان؟

هل ثمّة شيء منافٍ للعقل أكثر من الحديث عن التَقدّم، والحال أنّنا نرى بالممارسة اليوميّة أنّ الإنسان مازال كما هو، أي كما كان دائمًا، كائنًا متوحّشا. وما هي مخاطر الغابة أو المرج بالمقارنة مع صدمات الحضارة وصراعاتها اليوميّة؟ هل ثمّة فرق بين الرجل الذي يعانق مُغَفَّلَتَهُ في الشارع وذاك الذي يطعن فريسته في غابات مجهولة؟ أليس هو الرجل الأبديّ نفسه، أي الحيوان المفترس، بكلّ معنى الكلمة؟

يقال إنّ عمري ثلاثون سنة. ولكنْ إذا عشتُ ثلاث دقائق في كلّ دقيقة، ألا أكون في التسعين؟

...العمل، أليس هو الملح الذي يحفظ الأرواح \ المومياوات؟

بدايةُ رواية: تناولْ موضوعا من حيث شئت، كيفما اتّفق، وكَيْ تشعر بالرغبة في إتمامه، ابدَأ بِجُمَل فخْمة.

صواريخ ١٥

أعتقد أنّ الفتنة اللامتناهية والغامضة التي نشعر بها عندما نتأمّل مركبا، وخاصّة إذا كان متحرّكًا، إنّما تنشأ في الحالة الأولى، عن الانتظام والتناظر اللذين يحتاج إليهما العقل البشريّ بصفة أساسيّة، حاجَتَهُ إلى التعقيد والتناغم. وهي في الحالة الثانية، ناشئة عن التوليد والتوالد المتتابع لكلّ تلك الإنحناءات والأشكال الخياليّة التي تحدثها في الفضاء، العناصرُ الماديّة لموضوع التأمّل.

الفكرة الشعريّة التي تنبثق من نشاط الحركة في الخطوط ذاك، تتمثّل في افتراض كائن شاسع، هائل، مُعقّد، لكنّه متناغم، حيوان مُفعم بالعبقريّة يعاني ويصدح بكلّ آهات البشريّة وطموحاتها.

أيّتها الشعوب المتحضّرة التي تتحدّث دائمًا عن *المُتوحّشين والبرابرة*، قريبًا كما يقول دي أُوريفِيلي[٤٢]، *لن يُتاح لك حتّى أن تكوني من عبدة الأوثان*.

الرواقيّةُ دين ليس له إلاّ سرٌّ واحد: الإنتحار.

التخطيطُ لمهزلةٍ غنائيّة أو عجائبيّة، أو لمسرحيّة إيمائيّة، وتحويل ذلك

---

[٤٢] جول باربي دي أوريفيلي (Jules Barbey D'Aurevilly): ولد في فرنسا ١٨٠٨، وكتب في المسرح والرواية واختصّ في النقد وكان من المدافعين عن بودلير.(آ.ف).

إلى رواية جادّة. ثمّ إغراقُ الكلّ في مناخٍ غير عاديّ وحالم - *مناخ الأيّام الكبيرة* - ليكن شيئًا مُهَدْهِدًا - وحتّى هادئًا عند الإنفعال. مناطق الشعر الخالص.

أخذ يبكي مُتأثِّرًا بمرْأى تلك المفاتن الشبيهة بالذكريات، راقًا لفكرة ماضٍ كَمْ أثخنتهُ الأخطاء والخصومات والأشياء التي طالما أخفاها أحدهما عن الآخر. أخذ يبكي، وفي العتمة، سالت دموعه الحارّة على الكتف العارية، كتف عشيقته العزيزة الشهيّة. فارتجفتْ. أحسّت هي أيضًا بالحنان والتأثّر. كانت العتمة تُطَمْئِنُ خُيَلاءها ودَانْدِيَّتَها كامرأة باردة. كائنان منهاران يعانيان بقايا نبل قديم، وتلقائيّا تعانقا، واختلطت في سيل دموعهما وقبلاتهما أحزان الماضي بآمال المستقبل غير المضمونة. ومن الجائز الإعتقاد بأنّهما لم يعرفا قطّ المتعة كما عرفاها ليلةَ الكآبة والشفقة، تلك.

- كانت متعة مترعة بالألم والندم.

عبْرَ سَوادِ الليل نظرَ وراءً إلى السنوات السحيقة، ثمّ ارتمى بين يدي صديقته الآثمة، يبحث عن الغفران الذي منحها إيّاه.

هوغو يفكّر كثيرًا في برومثيوس.

إنّه يرسُمُ عُقابًا خياليًّا على صدْرٍ لم يُوخَزْ بغَيْرِ كَيَّاتِ الزَهْو، ثمّ تشتدّ به الهلوسة وتتنوّع وفقًا لمجراها التصاعديّ الذي حدّث عنه الأطبّاء،

فإذا هو يعتقد بأنّ قرارًا من العناية الإلهيّة، جعل سانت هيلانة تحلّ محلّ جرسي[٤٣].

هذا الرجل من العجز عن الرثاء لغيره، ومن البعد عن الشفافيّة، بحيث يقدر حتّى على إرعاب كاتب عدل.

هوغو \ الكهنوت[٤٤] دائمًا بجبين مائل.

مائل أكثر ممّا يسمح له برؤية شيء عدَا سُرّته.

ما الذي ليس كَهَنُوتًا اليوم؟ الشبيبة نفسها كَهَنُوت - طِبْقًا لقول الشبيبة.

وما الذي ليس صلاةً؟ البرازُ صلاة - طِبْقًا لقول الديمقراطيّين حين يتبرّزون.

السيّد دِي بنمارتان[٤٥] يبدو دائمًا وكأنّه قادم توًّا من قريته.

---

[٤٣] سانت هيلانة (Sainte Hélène) حيث أقام نابليون أسيرًا، وجرسي (Jersey)، الجزيرة الإنكليزيّة النورماندية، حيث أقام فكتور هوغو لفترة ودفعته السيّدة دي جيراردان (Mme de Girardin) إلى الروحانيّات. وقد قارن هوغو في "عودة الإمبراطور" بين نابليون"أسيرًا" وبروميثيوس"في أصفاده". وهي المقارنة التي يسخر منها بودلير.(آ.ف)

[٤٤] العلاقة بين بودلير وهوغو مرّت بفترة إعجاب متبادل، أعقبها برود وعداء خاصة من جانب بودلير. ربّما، مثل ما قال البعض، "لأنّ هوغو كان نهاية مرحلة، في حين كان بودلير بداية أُخرى".(آ.ف)

الإنسان، أي كلّ واحدٍ منّا، منحرفٌ بشكل *طبيعيّ*، إلى درجة أنّه يتألّم للانحطاط العامّ أقلّ ممّا يتألّم لإقامة تراتُبيّةٍ معقولة.

سينتهي هذا العالم[٤٦]. والسبب الوحيد الذي قد يجعله يستمرّ هو أنّه موجود. وكم هو سبب ضعيف بالمقارنة مع كلّ تلك الأسباب التي تبشّر بالعكس. ونعني تحديدًا السؤال التالي: هل بقي للعالم دورٌ تحت السماء؟ إذ حتّى لو افترضنا أنّه سيستمرّ في الوجود ماديًّا، فهل سيكون وجوده جديرًا بهذه التسمية، وبالمعجم التاريخيّ؟ أنا لا أزعم أنّ العالم سيُختصر في تلك الخدع والفوضى الهزليّة لجمهوريّات أمريكا الجنوبيّة، أو أنّنا سنعود إلى الهمجيّة لنهيم عبر خرائب حضارتنا المُعشِبة بحْثًا عن فريسة، وفي اليد بندقيّة. كَلاًّ، فمصير مثل هذا ومغامرات كهذه يفترضان بقيّةً مَا من الطاقة الحيويّة، هي صدى تلك العصور الأولى. إنّما سيُضربُ بنا مَثَلٌ جديد، سنكون الضحايا الجدد لقوانين الأخلاق الصارمة، وسنهلك من حيث ظَنَنَّا أنّنا نعيش. ستُأَمْرِكُنَا المِيكَانيكَا، وسيَضْمُرُ التَقدّمُ بكلّ ملامحنا الروحيّة، إلى الحدّ

---

(٤٥) أرمون دي بنمارتان (Armand de Pontmartin)، صحافي "يبشّر" بالأخلاق الحميدة، "بهيمة عجوز فاضلة ومهذّبة"، حسب عبارات بودلير، الذي عاداه على إثر مقالات بخصوص وفاة توماس دي كوينسي (De Quincey) وإدغار ألان بُو (م.ج).

(٤٦) سينتهي هذا العالم. من النصوص التي يعود فيها بودلير إلى تقمّص شخصيّة الشاعر النبيّ. وهذا النصّ من أشهر نصوص اليوميّات آ.ف)

الذي تصبح معه أقصى أحلام الطوباويّين الدمويّة والدنيئة والمضادّة للطبيعة، عاجزةً عن مُضاهاةِ نتائجه الفادحة.

أطلبُ من كلّ إنسان يُفكّر، أن يريني ما الذي تبقّى من الحياة؟ الدين؟ أعتقد أن لا جدوى من الحديث عنه وعن بقاياه، فأن نتجشّمَ مشقّةَ نفي الله الآن، هو الفضيحة الوحيدة في هذا المجال. المِلْكِيّة؟ لقد اختفت فَرْضيّا مع إلغاء حقّ البُكُورِيّة. ولكن سيأتي زمن تعود فيه البشريّة مثل الغول المنتقم، لتفتكّ آخر الأشلاء من أيدي أولئك الذين يتصوّرون أنّهم الورثة الشرعيّون للثورات. ولن يكون ذلك أسوأ الأمور.

في وسع المخيّلة البشريّة أن تتصوّر دون عناء، جمهوريّات أو نُظُمًا جماعيّة أخرى جديرةً بشيء من المجد، إذا كانت محكومة ببعض الرجال الجِلّة أو الأرستقراطيّين. لكنّ الخراب الكونيّ، أو التقدّم الكونيّ (فلا أهمّيّة للتسميات)، لن يتجلّى عن طريق المؤسّسات السياسيّة تحديدًا، بقدر ما سيتجلّى عن طريق إِخْزَاءِ الروح.

هل أحتاج إلى القول إنّ القليل المتبقّي من الشيء السياسيّ سيتخبّط بعناء في أحضان الحيوانيّة الشاملة، وإنّ الحكّام سيكونون مضطرّين، إذا أرادوا البقاءَ في الحكم وخلْقَ شَبَحِ نظام، إلى الإستعانة بوسائل سترتعد لها فرائص بشريّتنا الراهنة، على شدّة تحجّرها.

عندها سيهجر الإبنُ العائلة، لا في الثامنة عشر بل في الثانية عشر من عمره، وقد حرّره نضجه المبكّر والنهِم. سيهرب من العائلة لا ليبحث عن مغامرات بطوليّة أو يفكّ أَسْرَ حسناء سجينة في قلعة أو يرفع كوخًا صغيرًا إلى مرتبة الخلود، بأفكارٍ رائعة، بل ليشتغل بالتجارة ويبحث عن الإثراء وينافس والده السافل - مؤسّس وصاحب أسهم في جريدةٍ ستفيض بالأنوار، وستبدو إزاءها جريدة القرن[٤٧] لتلك الأيّام، منبرا للخرافة.

عندها، سنرى التائهات المنبوذات، اللواتي كان لهنّ بعض العشّاق ويُسَمَّيْنَ أحيانًا ملائكة، (شكْرًا لهنّ على لحظات الطيش، وعلى أضواء الصدفة اللامعة في حياتهنّ المنطقيّة مثل الشرّ)، عندها قلت، سنرى هؤلاء التائهات المنبوذات وقد أصبحن حكمةً بلا رحمة، حكمةً تدين كلّ شيء، بما في ذلك المال، كُلّ شيء حتّى أخطاء الحواسّ.

عندها، سيُعْتَبَرُ كُلُّ ما يُشبه الفضيلة - ماذا أقول؟- كلُّ ما لن يكون ضراوةً في اتّجاه« بلوتوس»[٤٨]، سيُعتبر في منتهى التفاهة. أمّا العدالة،

---

[٤٧] جريدة القرن Le Siècle. جريدة ليبراليّة كان بودلير يعتبرها معقلا للذوق الرديء.(آ.ف)

[٤٨] بلوتوس Plutus أو Ploutous: عنوان مسرحيّة من تأليف أرسطوفان (أثينا ٤٤٥-٣٨٠ قم). وبلوتوس في المسرحيّة هو إله الثراء، الأعمى، الذي يقسّم الثروات كيفما اتّفق،

(إذا أمكن لمثل هذا العصر المحظوظ أن يعرف عدالة)، فستعاقب كلّ المواطنين الذين لا يتقنون طرق الإثراء.

وزوجتُك،أيّها البرجوازيّ، نصفك العفيف الذي تقوم شرعيّته بالنسبة إليك مقام الشعر، زوجتك الفاضلة التي ستُلْحِقُ بالشرعيّةَ من الآن فصاعدًا سفالةً لا تشوبها شائبة، الحارِسَةُ المُتيقّظة والعاشقةُ لخزينة أموالك، لن تكون بعد الآن سوى المثال الكامل للعشيقة المحظيّة.

أمّا ابنتك، بعقلها الطفوليّ، فستحلم من المهد بأنّها تبيع نفسها بمليون. وأنت نفسك أيّها البرجوازيّ - وقد صرتَ شاعرًا أقلّ ممّا أنت الآن - لن تجد ما تعترض عليه. ولن تندم على شيء. فثمّة في الإنسان أشياء تزدهر وتزداد قوّة فيما أشياء أُخرى تضمرُ وتتقلّص. وبفضل تقدّم هذه الأزمنة لن يبقى في باطنك سوى أمعاء.

ربّما كانت هذه الأزمنة شديدة القرب، ومن يدري إن لم تكن قد حلّت بعد، وإن لم تكن خشونة طَبْعِنا هي العائق الوحيد الذي يحول بيننا وبين أن نميّز المناخ الذي نتنفّس فيه.

أمّا أنا، ومع إحساسي أحيانًا بأنّي مثير للسخرية مثل نبيّ، فعلى يقين

والذي شفي فجأة، واسترجع البصر، فأصبح لا يهب الثروة إلاّ من استحقّ. لكنّ الفقر اعترض على ذلك، وأقنع بلوتوس بأنّه ضروريّ للحياة، لأنّ الناس بدون الفقر لن يحرّكوا ساكنًا.(آ.ف)

بأنّي لن أعثر على رحمة طبيب. بل سأمضي تائها في هـــذا العـالم البشع، مدفوعًا بالمناكب في الزحام، أرى نفسي مثل رجل منـــهك، ينظر إلى الوراء، في الأعوام السحيقة، فلا يرى غير خيبـــة ومـــرارة، وينظر إلى الأمام، فلا يرى غير عاصفة لا جديد فيـــها، لا درس ولا ألم. وفي الليل حين يكون هذا الرجل قد سرق من القدر ســـويعات من المتعة، وهجع يهضمها، ناسيًا الماضي قـــدر المســـتطاع، فرِحًـــا بالحاضر، مستسلمًا إلى المستقبل، منتشيًا بدمه البارد ودانْديَّته، فخـوراً بكونهِ أَقلّ حقارةً من العابرين، في ذلك الليل، سيقول الرجل متـأمّلاً الدخان المتصاعد من سيجارهِ: وماذا يهمّني أنا، إلى أين تمضي هـــذه الضمائر؟

أعتقد أنّي انحرفت إلى ما يســـمّيه أهـــل المهنـــة خروجًـــا علـــى الموضوع(٤٩). لكنّي سأُحافظ على هذه الصفحات، ـــ لأنّي أريـد أن أُؤَرِّخ لِحُزْني [غَضَبي(٥٠)].

(٤٩) يستعمل بودلير عبارة Hors-d'œuvre، لا في معنى المفتّحات، أو المقدّمات. بـــل في معناها الحرفيّ: أي "خارج العمل" أو "خارج الأثـــر". وفضّلنـــا ترجمتـــها إلى "خـــارج الموضوع.(آ.ف)

(٥٠) حُزني [غضبي]: حافظنا على الكلمتين في وضع الحيرة الذي بقيتا عليه في المخطـــوط (م.ج).

هوامش صواريخ:

* بالمقارنة مع "قلبي عاريًا"، يظلّ الكاتب في "صواريخ"، وعلى الرغم ممّا يبديه من يأس وقرف من الحياة، فنّانًا وعالم نفس، مرشدًا وحكيمًا، أي أنّه في كلمة، يقف على مسافة من ذاته، وغالبًا ما يقول ذاته بطريقة محايدة.(م.ج)

نشير هنا إلى أنّ بودلير استعمل كلمة "صواريخ"(Fusées) عَمْدًا، لتكون في مفترق طرق معانٍ عدّة: فالصاروخ في الفرنسيّة هو الشهاب والسهم الناريّ وجزء من مقبض السيف وهو اسم لأدوات عديدة مخروطيّة الشكل من بينها المغزل الخ...ولو عدنا إلى الفعل الذي اشتقّت منه الكلمة (Fuser) لوجدنا معاني الاندفاع والذوبان وأحيانًا الموت (Achever sa fusée).ولا شكّ أنّ بودلير قد "أراد" كلّ هذه المعاني. إذ أنّ ملاحظاته أخذت شكل السهام الناريّة."رؤوس أقلام" تُطْلَق لتصيب. شذرات تتعبّر عن الفكرة بالصورة المكثّفة. اندفاعات مترعة بروح صاحبها فكأنّ شيئًا من روحه يتدفّق مع كلّ شذرة. وعلى الرغم من أنّ كلمة "صواريخ" في العربيّة، في نهاية هذا القرن، تأخذنا مباشرة إلى مجال غزو الفضاء والرحلات المكوكيّة في اتّجاه الكواكب والوسائل الحربيّة، إلاّ أنّها فرضت نفسها على الترجمة، لأنّها أسبق من إنجازات التكنولوجيا الحديثة. فقد كان الصاروخ اسمًا يطلق على سلاح حربيّ هو اليوم "بدائيّ" ومنقرض، يتمثّل في سهم ساقه من قصب وفي ذيله حشوة بارود. وقد عُرِف هذا "الصاروخ" من زمن بعيد في البيئتين: بيئة بودلير وبيئة القارئ العربيّ. (آ.ف)

نظافة

صواريخ. نظافة. مشاريع ١

كلّما أردنا، أردنا أفضل.

كلّما عملْنا صار عملُنا أفضل، وازداد حبّنا للعمل.

كلّما أَنْتجْنا زادت خصوبتُنا.

بعد جلسة مجون، نشعر دائما بأنّنا وحيدون أكثر، مهجورون أكثر.

صاحبني دائما، معنويّا وجسديّا، إحساس بالهاوية. لا أعــني هاويــة النوم فحسب، بل هاوية الحركة والحلم والذكرى والندم والحســرة والجمال والعدد إلخ...

رعيتُ هِسْتِرْيّايَ بلذّة ورعب. الآن مازلت أشعر بالدوار، واليوم ٢٣ جانفي\كانون الثاني ١٨٦٢، تلقّيت إنذارا غريبا: أحسســتُ بــأنّ ريح جناح الغباء تهبّ عليّ"[١].

---

[١] ريح الغباء تهبّ عليّ: ربّما كانت هذه العبارة إشارة من بودلير إلى مــــاري دوبــرون (Marie Daubrun) بعد اكتشافه خيانتها له مع تيودور دي بـــانفيل (Théodore de Banville) أنظر هوامش "صواريخ". وماري دوبرون هي ممثّلة دخلت حياة بودلير ســـنة ١٨٥٤ وخرجت منها سنة ١٨٦٠.وقد خصّها الشاعر بستّ قصائد من بينـــها قصيــدة "السمّ".وكان لخيانتها له أثر كبير في نفسه (آ.ف).

نظافة. أخلاق ٢

إلى هُونْفلُور(٢)! في أسرع وقت ممكن، قبل المزيد من السقوط.
كم خَمَّنتُ وكم أعطاني الله من إشارة، بأنّه قد آن الأوان للتحـــرّك، لاعتبار الدقيقة الراهنة أهمّ الدقائق، ولاتّخاذ نشوتي الدائمة من عذابي اليوميّ، أعني العمل!
نحن مسحوقون في كلّ دقيقة بفكرة الزمن والإحساس به. ولا توجد إلاّ وسيلتان للنجاة من هذا الكابوس، لنسيانه: المتعة والعمل. المتعـــة تستهلكنا. العمل يُقَوِّينا. لِنَختَرْ.
كلّما استخدمنا إحدى هاتين الوسيلتين، ازداد قَرَفُنا من الأخرى.
نحن لا نستطيع نسيان الزمن إلاّ باستخدامه.
لا شيء يتمّ، إلاّ شيئا فشيئا.

(٢) هونفلور (Honfleur): ميناء تجاريّ فرنسيّ ، كانت له أهميّة كبيرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد اشترى الجنرال أوبيك (زوج أمّ بودلير) منزلاً صغيرًا في هذا المكان، انتقلت إليه الأمّ سنة ١٨٧٥ بعد وفاة زوجها.حيث زارها بودليرسنة١٨٥٨. وأقام عندها في مطلع سنة ١٨٥٩.عاقدا العزم على تخصيص إقامته لإنجاز عدّة أعمال، من بينها كتاب بعنوان "قلبي عاريًا" إلاّ أنّ المرض لم يسعفه (آ.ف)

نظافة. صواريخ ٣

إدغار[ألان] بُو ودي ميستر[٣] علّماني التفكير.

ما من عملٍ طويل إلاّ ذاك الذي لا نجرؤ على الشروع فيه. إنّه يتحوّل إلى كابوس.

بتأجيلِ ما يجب علينا القيامِ به، قد نقعُ في المحذور: أن لا نستطيع القيام به البتّة.

إذا لم نَهْتَدِ فورا، قد نصير ملعونين.

للشفاء من كلّ شيء، من البؤس والمرض والكآبة، لا شيء ناقص إطلاقًا، سوى الرغبة في العمل.

---

[٣] جوزيف دي ميستر (J. De Maistre): صاحب نظريّة "قابليّة الانعكاس"(La réversibilité). وقد تبنّى بودلير أفكاره حول "التقدّم" حوالي سنة ١٨٥١ ، بعد أن كان مغرمًا باشتراكيّة فورييه (Fourier) الطوباويّة. انظر"قلبي عاريًا" ومقدّمة المترجم.(آ.ف).

ملاحظات ثمينة ٤

قم كلّ يوم بما يتطلّبه الواجب والحذر.

لو اشتغلتَ كلّ الأيّام، لأصبحتْ حياتُكَ محتملة أكثر.

اِعملْ ستّةَ أيّام بدون انقطاع.

للعثور على مواضيع، اعرف نفسك بنفسك[٤].

(قائمة ميولاتي).

كن دائما شاعرا، حتّى في النثر.

أسلوب عظيم

(لاشيء أجمل من الأفكار المبتذلة).

ابدأ أوّلاً، ثمّ استخدم المنطق والتحليل. ما من فرضيّة إلاّ وهي تطلب نتيجتها.

البحث عن الشغف الأرعن واليوميّ بالحياة.

---

[٤] "اعرف نفسك بنفسك": حكمة سقراط المعروفة، وهي مكتوبة باللاتينيّة في الأصل (م.ج).

نظافة. سيرة. أخلاق ٥

حصّتان:

ديون (أنْسيل)[٥].

أصدقاء (أمّي، أصدقائي، أنا).

وهكذا يجب أن أوزّع الـ ١٠٠٠ فرنك على حصّتين. ٥٠٠ فرنك للحصّة الواحدة. على أن تُقَسّم الحصّة الثانية على ثلاثة أجزاء.

في هونْفلُورْ

استعراض رسائلي كلّها وترتيبها (يومان).

القيام بجردٍ لكلّ ديوني (يومان). (أربعة أصناف: سَنَدات، ديون كبيرة، ديون صغيرة، أصدقاء).

ترتيب مجموعة المحفورات[٦] (يومان).

ترتيب الملاحظات (يومان).

---

[٥] نارسيس ديزيريه أنْسيل (Narcisse Désiré Ancelle): رجل القانون الذي أوكلت إليه مهمّة تنفيذ الحجر والوصاية على بودلير، بعد أن استصدرت عائلته حكمًا بذلك، مخافة أن يفرّط الشاعر في ممتلكاته بما اعتبروه طيشًا وعدم إحساس بالمسؤوليّة (آ.ف).

[٦] المحفورات: أو الصور المحفورة. وقد فضّلنا استعمالها لتعريب كلمة Gravures (آ.ف).

نظافة. أخلاق. سيرة ٦

ربّما فات الأوان! أمّي وجين[٧]. صحّتي من باب الرحمة أو من بـاب الواجب. أمراض جين. عاهات أمّي ووحدتُها.

القيام بالواجب كلّ يوم والتعويل على الله بالنسبة إلى الغد.

الطريقة الوحيدة لكسب المال هي أن نعمل بترفّع.

حكمةٌ مُختَصَرة: نظافة، صلاة، عمل.

الصلاة: رحمة وحكمة وقوّة.

لولا الرحمة ، ما كنتُ سوى صَنْجٍ رنّان.

الإهانات التي قُوبِلْتُ بها كانت نعَمًا من الله.

سُهولةُ الإجابة على ضرورة كلّ لحظة، وأقصد الاستقامة، لابـــدّ أن تحصل على مكافأتها.

«... الشقاء الدائم يُحدِث في الروح مـــا تُحدثـــه الشـــيخوخة في الجسد، نعجز عن الحركة فنضطجع...

---

[٧] جينّ (Jeanne): صديقة الشاعر وملهمته العديد من قصائده المعروفـــة انظـــر قلـــبي عاريًا.(آ.ف).

ونحن من جهة أخرى نستعير من ريعان الشباب أسبابًا للمماطلـــة، إذ ما أن يكون لدينا متّسع من الوقت، حتّى نوهم أنفسنا بأنّنا قـــادرون على صرف سنوات من الانتظار، في اللهو أمام الأحداث.

شاتوبريان.[٨]

---

[٨] شاتوبريان (François René de Chateaubriand): الكاتب الفرنســـيّ المعـــروف (١٧٦٨-١٨٤٨).الذي قال في شأنه فكتور هوغو " إمّا أن أكون شاتوبريان وإمّـــا أن لا أكون".وكان بودلير يعتبره مثالاً للأسلوب "الخالد".راجع أيضًاهوامش"صواريـــخ"و"قلـــبي عاريًا"ومقدّمة المترجم.(آ.ف)

نظافة. سيرة. منهج ٧

جين ٣٠٠، أمّي ٢٠٠، أنا ٣٠٠. ٨٠٠ فرنك شهريًّا. العمل من السادسة صباحًا إلى منتصف النهار، على الريق. العمل كالأعمى بلا هدف، كالمجنون، سنرى النتيجة.

أفترضُ أنّي أُعلّق مصيري على عمل متواصل لساعات عديدة.

كلّ شيء يمكن أن يتمّ إصلاحه. لم يفت الوقت بعد. ومن يدري، لعلّ مُتَعًا جديدة...؟

مَجْد، سَدادُ ديوني، ثراءُ جين وأمّي.

لم أعرف متعة مشروع مُنجَز. قوّة الفكرة الثابتة. قوّة الأمل.

عادةُ القيام بالواجب تطرد الخوف.

علينا أن نرغب في الحلم وأن نعرف كيف نحلم. استحضار الإلهام. فنٌّ سحريّ.

الانطلاق فورا في الكتابة. أنا أفكّر أكثر من اللازم.

العمل الفوريّ وإن كان سيّئًا أفضلُ من التهويم.

سلسلةٌ من الإرادات الصغيرة تعطي نتيجة كبيرة.

كلّ تراجع للإرادة هو قطعة من الجوهر ضائعة. التردّد، كم هو متلاف إذَنْ! وكم سيكون الجهد النهائيّ مضنيًا لتعويض كلّ هذه الخسائر!

الإنسان الذي يصلّي ليلاً، قائد ينصّب حرّاسه. في وسعه أن ينام.

أحلام بالموت وإنذارات.

إلى حدّ الآن لم أستمتع بذكرياتي إلاّ وحيدا. لابدّ من الاستمتاع بالذكريات مع آخَر. تحويل مُتَعِ القلب إلى عاطفة مشبوبة.

لأنّي أفهم كيف تكون حياة المجد، أظنّ أنّ باستطاعتي تحقيقها. آه يا جان جاك(٩)!

العمل يولّد بالضرورة العادات الطيّبة، الزهدَ والعفّة، وبالتالي، الصحّة والثراء والعبقريّة الدائمة والمتنامية، والرحمة.

افعل ما يجب عليك أن تفعل(١٠).

---

(٩) جان جاك [روسّو] (Rousseau (Jean-Jacques: الكاتب والمفكّر الفرنسيّ صاحب كتاب "إيميل-والعقد الاجتماعيّ-١٧٦٢-. تعرّض إلى العديد من المِحَن وطورد وعقد العزم مرّات عديدة على عدم نشر مؤلّفاته مادام على قيد الحياة. عاش مليًّا تجربة "الكاتب الملعون" .لذلك فلا غرابة أن يرى فيه بودلير من هذه الناحية، الكثير من نفسه (آ.ف).

(١٠) "افعل ما يجب عليك أن تفعل". حكمة مكتوبة باللاتينيّة في الأصل. (Age quod agis) (م.ج)

أسماك، حمّامات باردة، أدواش، بَهَقُ الحجر[11]، وأحيانًا أقراص طبيّة.
من جهة أخرى إلغاء كلّ المهيّجات.
بَهَقُ أيسلندة:.....١٢٥ غم
سكّر أبيض:.....٢٥٠ غم
غَطْسُ البهق لمدّة ١٢ أو ١٥ ساعة في كميّة كافية من الماء البارد، ثمّ إزالة الماء.
غَلْيُ البهق في لترين من الماء على نار هادئة ودون انقطاع إلى أن يفضل منه لتر واحد. تنظيفه مرّة واحدة ثمّ إضافة الـ ٢٥٠ غم من السكّر وتركه إلى أن يصير له ثخنٌ .
تناوله بعد أن يبرد على ثلاثة أيّام في ملعقة كبيرة صباحًا وعند منتصف النهار وفي المساء. ولا خوف من تقوية الجرعة إذا توالت النوبات.

[11] بهق الحجر، أو بهق أيسلندة (Lichen d'islande) أو Cetraria Islandica: ويسمّى أيضا خرز الصخور.عشبة جامدة البشرة، تشبه الطحالب، تعيش في المناطق المعتدلة والباردة. وتستعمل للتخدير ولمعالجة التقيّؤ أثناء الحمل.إلخ.. (آ.ف)

نظافة. سيرة. منهج ٨

أقسم على أن أجعل من القواعد التالية القواعدَ الأبديّة لحياتي، من الآن فصاعدًا:

أن أتوجّه كلّ صباح بصلاتي إلى الله، مستودع كلّ قوّة وكلّ عدالة، وإلى أبي وماريت وبُو[١٢] كشُفعاء، راجيا منهم أن يمنحوني القوّة اللازمة للقيام بكلّ واجباتي، وأن يمنحوا أمّي العمر الكافي لتتمتّع بما حدث لي من تحوّل. وأقسم على أن أعمل طيلة اليوم، أو على الأقلّ طالما ظلّت لديّ قوًى تسمح بذلك، وأن أعوّل على الله أي على العدالة نفسها، في كلّ ما يخصّ نجاح أعمالي. وأن أتوجّه كلّ مساء بصلاة جديدة، راجيا من الله أن يمتّع أمّي ويمتّعني بالصحّة وطول العمر، كما أقسم على أن أوزّع كلّ ما أكسب على أربع حصص، – حصّة للمصروف اليوميّ، وأخرى للدائنين، والثالثة للأصدقاء، والرابعة لأمّي – وأن أتبع أشدّ تعاليم القناعة صرامة، وأوّلها إلغاء كلّ أنواع المهيّجات مهما كانت...[١٣]

---

[١٢] ماريت (Mariette) : لم نعرف من هو الشخص المقصود (آ.ف).

[١٣] تليه قائمة كاملة من التعليمات والقواعد الأخلاقيّة باللغة الأنكليزيّة مقتبسة من: The conduct of life لـ: إمرسون (Emerson). وقد تمّ الإستغناء عنها في هذه الطبعة(م.ج).

قلبي عارِيًا

قلبي عاريًا ١

في بعثرة الأنا ومَرْكَزَتِها. ثمّةَ كلُّ شيء[1].
في الإحساس بضربٍ من المتعة الحسيّة عند مخالطة الشواذّ.
(أستطيع أن أبدأ قلبي عاريًا من أيّ مكان، كيفما اتّفق، مستمرًّا فيه يومًا فيومًا حسب إلهام اليوم والظرف. شرْطَ أن يكون الإلهام حيًّا.)
لأيٍّ كان الحقُّ في التكلّم عن نفسه شرْطَ أن يكون مسلّيًا.
أفهمُ أن يخونَ المرءُ قضيّةً ليختبر أحاسيسه وهو يخدم قضيّةً أخرى.
قد يلذّ لنا أن نكون بالتناوب، الضحيَّة والجلّاد.

---

(١) استعملنا عبارة بعثرة الأنا ومركزتها، لترجمة كلمتي et Vaporisation Centralisation. ويتبّنى بودلير هنا إحدى أفكار إيمرسون.(آ.ف)

قلبي عاريًا ٢

حماقات جيراردان[٢]:

«من عادتنا أن نمسك بالثور من قَرْنَيْهِ، فلنمسك إذَنْ بالخطاب من خاتِمَتِه».

(٧ نوفمبر\تشرين الثاني ١٨٦٣)

وهكذا فإنّ جيراردان يعتقد أن قرون الثيران مزروعة في مؤخّراتها، إنّه يخلط بين القرون والذيول.

« قبل أن يقلّدوا أساطين الصحافة الفرنسيّة المتشبّهين ببطليموس، على الصحفيّين البلجيكيّين أن يتجشّموا مشقّة التفكير في مسألة مازلت أُمعن فيها النظر منذ ثلاثين عاما، مثلما سيثبته الكتاب الذي سيصدر قريبا تحت هذا العنوان: أسئلة الصحافة. فليتريّثوا قبل أن يطلقوا صفة منتهى التفاهة، على رأي ثابت وصحيح، صحّة القول بأنّ الأرض تدور وأنّ الشمس لا تدور».

إيميل دي جيراردان[٣]

---

[٢] إيميل دي جيراردان (Emile de Girardin) صحافيّ فرنسيّ (١٨٠٤-١٨٥٥) كان وراء ما سُمِّي بالصحافة الشعبيّة.سبق ذكره في هوامش "صواريخ". (آ.ف)

«... ثمّة من يزعم أنّه لمّا كانت السماء ثابتة، فلا شيء يمنـــع مــن الاعتقاد بأن الأرض هي التي تدور حول نفسها. هــؤلاء لا يــرون، بسبب ما يجري حولنا، كـــم أنّ زعمـــهم مثـــير للســـخرية...»
بطليموس[4]

---

[3] لاحظ جون بلاتّار (Jean Plattard) أنّنا نقرأ في مقدّمة الكتاب الرابع لـــــ رابليـــه (Rabelais):

Que t'en semble, diz, grand vietdaze priapus ? J'ai maintes fois trouvé ton conseil et advis équitable et pertinent :
et habet mentula menten.(et ta mentule a de l'esprit).

فهل يجب أن نرى هنا "قناعاآخر" لجيراردان (Girardin) (م.ج) ؟

[أورد بودلير في هذه الموقع، الجملة الأخيرة من هذا المقتطف، بفرنسيّة رابليـــه القديمـــة. آ.ف)]

[4] هذا المقتطف من اختيار بودلير نفســـه. وهـــو لكلوديـــوس بطليمـــوس Claudius Ptolémée، عالم الفلك والجغرافيّ اليوناني (٩٠-١٦٨) وأحد أعلام مدرسة الاســكندريّة. ومن أشهر مؤلّفاته "المجسطيّ" و"جغرافية بطليموس". وهذا المقتطـــف هـــو مـــن كتابـــه "المجسطيّ"، الذي بسط فيه مبادئ علم الفلك القديم التي كان كوبرنيكـــوس (Copernic) أوّل من دحضها.(آ.ف)

قلبي عاريًا ٣

المرأة نقيض الداندي.

لابدّ لها إذَنْ من أن تكون مُرعِبة.

إنّها جائعة وتريد أن تأكل.

ظمآنة وتريد أن تشرب.

شَبِقة وتريد أن تُنكح.

يا لَهُ من فَضْل!

المرأة طبيعيّة، أي فظيعة.

لذلك فهي دائما سوقيّة، أي نقيض الداندي.

في وسام جوقة الشرف.

بيدو طالبُ الوسام كالقائل: إذا لم أُوسَّم مقابل قيامي بواجبي فـــإنّي لن أقوم به مرّة أخرى.

إذا كان الرجل ذا جدارة فما الجدوى من توســـيمه؟ وإذا لم يكـــن كذلك فهل يمنحه الوسامُ سوى بعض البريق؟

القبول بالتوسيم اعتراف للدولة أو للأمير بالحقّ في تقييمك وتحقيـــق

شهرتك الخ(٥)...

والحقّ أنّه لولا دافِعُ الكبرياء، لكان التواضع المسيحيّ كافيًا لتحريم الوسام.

حساب لصالح الله:

لا يوجد شيء بدون غاية.

لوجودي غاية إذَنْ. أيّ غاية؟ لا أعرف.

لم أُحدّد هذه الغاية.

بل حدَّدَها من هو أعلمُ منّي.

عليَّ إذنْ أن أصلّي له كي ينير سبيلي. إنّه الخيار الأمثل.

على الداندي أن يعمل ما في وسعه كي يكون رائعا باستمرار. عليه أن يعيش وينام أمام مرآة.

---

(٥) يبدو أنّ بودلير قد طمح في وقت من الأوقات، إلى الحصول على وسام جوقة الشرف الفرنسيّ La Légion d'honneur. ربّما كتعويض عمّا حصل له بسبب أزهار الشرّ. كتب يقول في رسالة إلى أمّه بتاريخ ٢٢ أوت\آب١٨٥٨: «...هاهو الخامس عشر من شهر آب يمرّ دون أن يأتي الوسام...» وأضاف معلّقًا على قائمة الموسّمين: «...وحتّى أتكلّم بمنتهى الصراحة، فإنّ قائمة الموسّمين أخيرًا، كانت مزعجة بالنسبة إليّ، بحيث أنّني سعدت بعدم إدراجي في أيّ دفعة، خاصّة في دفعة كهذه...». ويبدو أنّ المرارة كانت تتفاقم لدى بودلير، كلّما مرّت سنة دون توسيم. فكتب يقول سنة ١٨٦٠: "...ليُوسّم كلّ الفرنسيّين، ما عداي...» ثمّ تحوّل الأمر في هذا الكتاب إلى "تنظير" حاسم ضدّ الأوسمة بشكل عامّ.(آ.ف)

قلبي عاريًا ٤

تحليل الديانات المضادّة: البغاء المقدّس مثالاً.

ما هو البغاء المقدّس؟

تهيّج عصبيّ.

وثنيّةٌ متصوّفة.

الصوفيّة، كعلامة وصل بين الوثنيّة والمسيحيّة.

الوثنيّة والمسيحيّة، كِلاَهُمَا برهانٌ على الآخر.

الثورة وعبادة العقل يبرهنان على فكرة التضحية.

الخرافة هي مستودع كلّ الحقائق.

ثمّة في كلّ تغيير شيء مقزّز ومُسْتَحَبٌّ في الوقت نفسه. شيء له صلة بالخيانة والانتقال من مترل إلى آخر. وهذا كـــافٍ لتفســـير الثـــورة الفرنسيّة.

قلبي عاريًا ٥

نشوتي سنة ١٨٤٨[٦]

ماذا كانت طبيعة تلك النشوة؟

رغبة في الانتقام. متعة تدميرٍ طبيعيّة.

نشوة أدبيّة. ذكرى قراءات.

١٥ ماي\أيار[٧]. دائما الرغبة في التدمير. رغبة شرعيّة، إذا كان كلّ ما هو طبيعيّ شرعيًّا.

فظائع جوان \حزيران[٨]. جنون الشعب وجنون البورجوازيّة. الوَلَـعُ

---

[٦] ١٨٤٨: تاريخ الثورة الفرنسيّة (٢٢-٢٣-٢٤ فيفري \ شباط)، التي أدّت إلى سقوط لويس فيليب وإعلان الجمهوريّة الثانية. وكانت هذه السنة وسابقتها فترة هـزّات حاسمة شملت كلّ أوروبّا تقريبًا (باليرمو Palerme، ونابولي Naples، وميلانو Milan ، وفيينّا Vienne، وميونيخ Munich وبراغ Prague الخ...). وقد شارك بودلير في الأحداث وشوهد في الرابع والعشرين من الشهر نفسه في الشارع وهو يحمل بندقيّة ويصرخ: " علينا أن نذهب لإطلاق الرصاص على الجنرال أوبيك Aupick"، يقصد زوج أمّه.(آ.ف)

[٧] ماي \ أيار ١٨٤٨ (٤-٢٧): اجتماعات أوّل مجلس منتخب بعد الثورة لإعداد دستور الجمهوريّة الثانية.(آ.ف)

[٨] جوان \ حزيران ١٨٤٨ (٢٣-٢٦): انتفاضة العمّال المطرودين من المصانع الفرنسيّة. وقد شارك بودلير في أحداثها، وهاله أن تفضي إلى مأساة عقبتها ردّة فعل محافظة. إذ سُرعان ما استُدعِيَ الجنرال لويس أوجين كافينياك (Louis Eugène Cavignac) الـذي كان حاكما على الجزائر، وأعطي الصلاحيّات المطلقة لقمع الانتفاضة بكلّ شراسة. (آ.ف)

الطبيعيّ بالجريمة.

غضبي الشديد عند الانقلاب[٩]. إلى كم طلقة بندقيّة تعرّضت؟ هذا بونابرت آخر! يا للعار!

ومع ذلك عاد السلام إلى كلّ شيء. أليس للرئيس حقّ ينادي به؟

ما هو الإمبراطور نابليون الثالث[١٠]. ما قيمته. البحث عن تفسير لطبيعته وحتميّته.

---

[٩] يشير بودلير هنا إلى يوم ٢ ديسمبر \ كانون الأوّل ١٨٥٠، حين انقلب شارل لويس نابليون على الثورة، ونصّب نفسه امبراطوراً (نابليون الثالث). وكان ذلك الانقلاب بالنسبة إلى بودلير حدثًا فظيعًا ومخزيًا. (آ.ف)

[١٠] نابليون الثالث: هو شارل لويس نابليون (١٨٠٨ – ١٨٧٣)، الابن الثالث للويس بونابرت. حاول بين سنتي ١٨٣٦ و١٨٤٠ أن يطيح بلويس فيليب وينصّب نفسه امبراطوراً، لكنّه فشل وسجن. وفرّسنة ١٨٤٦ من السجن ولجأ إلى لندن. وما أن قامت الثورة حتّى رجع إلى فرنسا ليصبح رئيسًا للجمهوريّة في ١٠ ديسمبر\كانون الأوّل ١٨٤٨، ثمّ ينقلب على الجمهوريّة وينصّب نفسه امبراطوراً ويطلق على نفسه اسم نابليون الثالث في ديسمبر\كانون الأوّل ١٨٥٠.مجسّدا قوله "إنّنا لا نتلف بشكل حقيقيّ، إلاّ ما نقوم بتعويضه". وقد أطيح به بعد هزيمته ضدّ بروسيا سنة ١٨٧٠.و كان تاريخه في نظر بودلير، مثالاً على نجاحالخديعة حين يقابلها ما يسمّيه" غباء أمّة". إلاّ أنّ موقفه منه شهد بعض التقلّب. وقد صاغ السؤال هنا بطريقة الاستفهام عن "شيء": ما هو نابليون؟ باعتباره "ظاهرة" تتجاوز مفهوم الشخص.(آ.ف)

قلبي عاريا ٦

أن أكون إنسانا نافعا، بدا لي دائما أمرا في منتهى البشاعة.

لم تكن سنة ١٨٤٨ مسلية، إلا لأن كلا منا كان يشيد فيها يوطوبيات وكأنها قصور في إسبانيا.

لم تكن سنة ١٨٤٨ فاتنة إلا لفرط ما كانت مثيرة للاستهزاء.

روبيسبيير[١١] ليس جديرا بالاحترام إلا لأنه قال بعض الجمل الجميلة.

الثورة تكرس الخرافة عن طريق التضحية.

---

[١١] روبيسبيير (Maximilien De Robespierre): سياسي فرنسي (١٧٥٨-١٧٩٤)،رجل كومونة باريس المعروف.قاده دفاعه المستزمت عن الثورة إلى ممارسة الدكتاتورية ونشرالرعب، وانتهى به إلى المقصلة. قال عنه بودلير في فراديس اصطناعية:"[يبدو] روبيسبيير في مظهره الشبيه بقالب الثلج المتوهج، متبلا ومعادا طبخه، مثل الفكرة المجردة ". إلا أنه عبر عن الإعجاب به في مواضع أخرى.(آ.ف)

قلبي عاريًا ٧

سياسة:

لا أملك قناعات كما يفهمها أهل عصري، لأنّي لا أملك طموحًا.

لا توجد داخلي قاعدة لأيّ قناعة.

ثمّة شيء من الجبن أو بالأحرى شيء من الميوعة لدى الناس الشرفاء.

قُطّاع الطرق وحدهم مقتنعون. بماذا؟ بأنّ عليهم أن ينجحوا. لذلك ينجحون. ولماذا أنجح إذا كنت غير راغب في المحاولة أصلاً؟

كم من إمبراطوريّة مجيدة أُسِّسَتْ على جريمة، وكم من دين فاضل قام على ادّعاء.

ومع ذلك فإنّ لديّ بعض قناعات، بمعنى أكثر سموًّا، من الصعب فهمه على أهل عصري.

إحساس بالعزلة منذ الطفولة على الرغم من العائلة، وخاصّة وسط الرفاق.

إحساس بالعزلة كمصيرٍ أبديّ. ومع ذلك رغبة شديدة في الحياة وفي المتعة.

قلبي عاريًا ٨

نستهلك كامل حياتنا تقريبا في إشباع رغبات اطّلاع بلهاء، بينما ثمّة أشياء عديدة كان من الأحرى أن تثير فضول الناس إلى أقصى حدّ، لكنّها مثلما يبدو من مسار حياتهم العاديّ، لا تثير لديهم أيّ اهتمام.

أين أصدقاؤنا الموتى؟

لماذا نحن هنا؟

هل نحن قادمون من مكان ما؟

ما هي الحريّة؟

هل بإمكانها التناغم مع القضاء والقدر؟

عدد الأرواح، هل هو محدود أم لا محدود؟

وعدد الأراضي الصالحة لسكنى البشر؟

الخ...

الخ...

الأممُ لا تنجب العُظَماءَ إلاّ مُرْغَمَة.

إذَنْ، لن يكون الرجل عظيمًا إلاّ إذا انتصر على أُمَّتِه جمْعاء.

الأديان الجديدة المثيرة للسخرية:

موليير[١٢].

بيرانجيه[١٣].

غاريبالدي[١٤].

(١٢) موليير (Molière) : الكاتب المسرحيّ الفرنسيّ المعروف (١٦٢٢-١٦٧٣). صاحب "مدرسة النساء" و"دون جوان" و"البخيل" و"طرطوف" وغيرها من الأعمال. لم يكن بودلير معجبًا به لأسباب عديدة. يكفي أن نقارن بين رأي بودلير في ضرورة الابتعاد عن الطبيعة، وقول موليير في إحدى مسرحيّاته (Le Misanthrope):" هذا الأسلوب المجازيّ الذي يعتدّ به البعض، يبتعد عن الحقيقة والطبع الجميل. إنّه ليس سوى لعب بالكلمات وتحريف خالص. وما هكذا تتكلّم الطبيعة". كما يمكن أن نقارن بين حرص بودلير على ما يسمّيه في *صواريخ* "المتعة الأرستقراطيّة في أن لا تكون محلّ إعجاب". وقول موليير في *نقد مدرسة النساء:"* أليست إثارة الإعجاب، قاعدة كلّ القواعد؟ " (آ.ف)

(١٣) بيار جان دي بيرانجيه (Pierre Jean de Béranger): مغنّ فرنسيّ (١٧٨٠-١٨٥٧). عرف شعبيّة كبيرة لم يكن بودلير راضيًا عنها. فقد أقام هذا المغنّي شعبيّته على الجمع بين تمجيد "الملحمة النابليونيّة" ومدح العامّة من الناس. وواضح أنّ بودلير كان له في كِليهما رأي آخر. (آ.ف)

(١٤) غيوسيبّي غاريبالدي (Giuseppe Garibaldi): وطنيّ إيطاليّ (١٨٠٧-١٨٧٢).ناضل من أجل توحيد إيطاليا ضدّ النمسا وضدّ البابويّة. كما حارب لفائدة فرنسا سنة ١٨٧٠. (آ.ف)

قلبي عاريًا ٩

الإيمانُ بالتقدّم مذهبُ الكسالى، مذهبُ البلجيكيّين[١٥]. إنّه الفرد معوّلاً على جيرانه كي يقوموا بالعمل.

لا يمكن أن يوجد تقدّم (حقيقيّ، أي أخلاقيّ) إلاّ داخل الفرد وبواسطة الفرد نفسه.

لكنّ العالم مصنوع من بشر لا يفكّرون إلاّ مجتمعين في عصابات. هكذا هي الجماعات البلجيكيّة.

ثمّة أيضًا من لا يستطيع أن يلهو إلاّ وهو في قطيع. البطل الحقيقيّ يلهو وحيدًا.

---

[١٥] يتعرّض بودلير أكثر من مرّة إلى بلجيكا والبلجيكيّين في هذه اليوميّات وغيرها، بلهجة ساخرة ونقديّة. وقد يكون من المفيد التذكير بأنّه علّق على بلجيكا آمالا كبيرة للخروج من أزماته الماليّة المتلاحقة. وفكّر في تقديم محاضرات مدفوعة الثمن ونشر مؤلّفاته هناك. وقد ذهب إلى بروكسيل (Bruxelle) في شهر أفريل\نيسان من سنة ١٨٦٤. وألقى خمس محاضرات. فلم يدفَع له من مقابل إلاّ على محاضرتين، ولم يسجّل أيّ نجاح. وأعاد الكرّة في شهر جوان\حزيران، وأرسل منظّم الندوة ثلاثين دعوة، فلم يحضر غير عشرة أشخاص. كما رفض الناشرون التعامل معه. إلى حدّ أنّه فكّر في تأليف كتاب بعنوان "بلجيكا البائسة"، ظهر بعد ذلك تحت عنوان "بلجيكا المعرّاة". وقام بجولة عبر المدن البلجيكيّة للتوثيق. كما لا ننسى أنّه عرف في هذا البلد أشدّ فترات مرضه وطأة، وأصيب في نيمور (Nemur) بشلل نصفي (١٨٦٦) ولم يعد قادرا على الكلام إلاّ لإملاء رسائل قصيرة. (آ.ف)

التفوّق الدائم للداندي.

ما هو الداندي؟

قلبي عاريًا ١٠

آرائي في المسرح:

الشيء الذي اعتبرتُه دائمًا أجمل ما في المسرح منذ طفولتي وإلى الآن، هو الثريّا ــ تحفة جميلة مضيئة بلّوريّة معقّدة دائريّة وذات أبعاد متناظرة.

ومع ذلك فأنا لا أنكر تماما قيمة الأدب المسرحيّ، لكنّي وددت لو وُضِع الممثّلون على مزالج عالية، ولو أنّهم حملوا أقنعة أكثر تعبيرًا من الوجه البشريّ، ولو أنّهم تكلّموا عبر مكبّرات للصوت كي يكون في وسع الرجال أن يلعبوا أدوار النساء.

على أيّ حال، لقد تهيّأ لي دائما أنّ الثريّا هي الممثّل الرئيسيّ، سواءٌ استعملنا الجهة المكبّرة أم المصغّرة من المنظار.

لا بدّ من العمل إن لم يكن عن رغبة فبسبب اليأس، ما دام قد ثبت نهائيًّا أنّ العمل أقلّ إضجارًا من اللهو.

قلبي عاريًا ١١

ثمّة داخل كلّ إنسان وفي جميع الأوقات رغبتان متزامنتان : واحدة في اتّجاه الله والأخرى في اتّجاه الشيطان. التضرّع إلى الله أو الروحانيّة هو رغبة في الارتفاع، والتضرّع إلى الشيطان أو الحيوانيّة هو احتفال بالسقوط. وإلى هذه الرغبة الأخيرة يعود حبّ النساء والحوارات الحميمة مع الحيوانات، كلابًا وقططاً الخ...

وتتلاءمُ المسرّات المتفرّعة عن هذين الميلَيْن مع طبيعة كلٍّ منهما.

انتشاءٌ بالإنسانيّة.

لوحة كبيرة للإنجاز:

في اتّجاه الرحمة.

في اتّجاه الخلاعة.

في الاتّجاه الأدبيّ، أو اتّجاه الممثّل.

قلبي عاريًا ١٢

السؤال (التعذيب) كفنٌّ لاكتشاف الحقيقة، هو حماقةٌ هَمَجِيّة. إنّه استخدام وسيلة ماديّة لتحقيق غاية روحيّة.

الحكمُ بالإعدام ثمرةُ فكرةٍ صوفيّة باتت غير مفهومة تمامًا هذه الأيّام. الحكم بالإعدام لا يهدف إلى إنقاذ المجتمع، ماديّا على الأقلّ. إنّه يهدف إلى إنقاذ (معنويّ) للإثنين: المجتمع والمذنب. وكي تكون التضحية مثاليّة، يجب أن تعرب الضحيّة عن فرحها ورضاها. وهكذا فإنّ إعطاء الكلوروفورم إلى محكوم بالإعدام، قد يكون ضربًا من الكفر، لأنّه قد يحرمه من الوعي بعظَمَتِهِ كضحيّة، وقد يقضي على حظوظه في دخول الجنّة.

أمّا التعذيب، فهو وليد الجزء السافلِ من قلب البشر المتعطّش إلى المتعة. الوحشيّة والمتعة إحساسان متماثلان مثل ذروة الحرّ وذروة البرد.

قلبي عاريًا ١٣

رأيي في الاقتراع وفي حقّ الانتخاب وفي حقوق الانسان.

ما هو خسيس في وظيفة ما.

الداندي لا يصنع شيئًا.

هل تتصوّرون دانديًّا يخاطب الشعب، إلاّ للسخرية منه؟

ما من قيادة رشيدة وثابتة إلاّ الأرستقراطيّة.

المَلَكيّة أو الجمهوريّة القائمتان على الديمقراطيّة، هما على الدرجة نفسها من العبثيّة والضعف.

قرفٌ شديد من المُلْصَقات الإعلانيّة.

لا يوجد غير ثلاثة أشخاص جديرين بالاحترام:

الراهب والمحارب والشاعر. أن تعرف وأن تقتل وأن تبدع.

أمّا الآخرون فإنّهم صالحون للاستغلال والسُخْرة. مخلوقون للإسطبل، أي لممارسة ما يُسَمّى المِهَن.

قلبي عاريًا ١٤

لا بدّ من أن يكون لدُعاة إلغاء الحكم بالإعدام مصلحة في إلغائه.

إنّهم في الغالب جلاّدون. ويمكن تلخيص الأمر على النحو التـــــالي: "أريد أن أتمكّن من قَطْعِ رأسك على أن لا تلمس رأسي".

أمّا دُعاة إلغاء الروح (الماديّون)، فلا شكّ أنّهم يريدون إلغاء الجحيم، ولا شكّ أنّ لهم مصلحة في ذلك.

إنّهم في أقلّ تقدير، أناس خائفون من الحياة ثانيًا ـــ كُسالى.

السيّدة دي ماترنيخ، على الرغم من كونها أميرة، نسيت أن تجيبـــــني بخصوص ما قلتُ في شأنها وشأن فاغنر[١٦].

تلك طبائع القرن التاسع عشر.

---

[١٦] السيّدة دي ميترنيخ (Mme De Metternich)، زوجة الأمير ريشار دي مـــــاترنيخ Richard de Metternich(١٨٢٩-١٨٩٥)، الذي عمل سفيرًا في باريس. كـــانت وراء تقديم بعض أعمال فاغنر في فرنسا. ويبدو أنّ بودلير حاول إطلاعها على دراسته التي نشرها عن فاغنر سنة ١٨٦١، وطلب من نادارNadar أن يكون واسطة في الأمر، لكنّ الأمـــــيرة أعادت الدراسة مختومة كما استلمتها. أمّا ريشارد فاغنر (Richard Wagner) الموســـيقيّ الألمانيّ المعروف(١٨١٣-١٨٤٩)،فقد يكون من المفيد التذكير بأنّه كان شديد التأثـــير في عصره وإلى اليوم، كموسيقي وكمفكّر أيضًا. وقد كان بودلير شديد الإعجاب به، ونـــاصرَه بدراسة مطوّلة امتدح فيها أعماله التي قدّمها في باريس واستنكر ما قوبلت به أحيانًـــا مـــن استخفاف وعداء. (آ.ف)

قلبي عاريًا ١٥

قصّة ترجمتي لـــ إدغار ألان بو[١٧].

قصّة أزهار الشرّ[١٨]. الإهانة عن طريق سوء الفهم، ومحاكمتي.

قصّة علاقاتي مع رجالات مشهورين في زمني.

بورتريهات ظريفة لبعض الحمقى:

كليمون دي ريس[١٩]

كاستانياري[٢٠]

---

(١٧) إدغار ألان بو (Edgar Allen Poe) الشاعروالكاتب الأمريكيّ الذي سبق ذكـره في هوامش "صواريخ" (١٨٠٩-١٨٤٩). صاحب قصيدة "الغراب" ورائـد الفانتاسـتيك في السرد العالميّ والمؤثّر في الرواية البوليسيّة. كـان بودلـير أوّل مـن ترجـم أعمالـه إلى الفرنسيّة.وكان معجبا به وبتجربته الحياتيّة والأدبيّة. ويعتبره توأم روحه. وقد يكـون مـن المفيد أن نذكر هنا أنّ أوّل ترجمة بودليريّة لأعمال إدغـار ألان بـو نشـرت في "حريّـة التفكير"(La Liberté de penser) بتاريخ ١٥ جويلية\تموز ١٨٤٨. (آ.ف)

(١٨) قد يكون من المفيد التذكير بأنّ بودلير تعرّض لمحنة عند نشره أزهار الشرّ. وحوكـم. وحذفت قصائد من الديوان. وفي فيفري\شباط ١٨٦٥ سجّل بودلير عنوان "تاريخ أزهـار الشرّ" من بين المشاريع التي يُفْتَرَضُ أن تُكوّنَ أعماله النقديّة. (آ.ف)

(١٩) كليمون دي ريس Clément de Ris Athanase-Louis (١٨٢٠-١٨٨٢). مـن النقّاد الذين هاجموا بودلير، باعتباره "شاعر القاذورات والمواسير والبذاءة".(آ.ف)

(٢٠) جول كاستانياري Castagnary Jules-Antoine : ناقد اهتمّ بالفنون التشـكيليّة وأدار العديد من المعارض الفنيّة، مثل صالون ١٨٦١ وصالون ١٨٦٣ الذي بشّر فيه بظهور

بورتريهات لقضاة وموظّفين ومديري صحف الخ...

بورتريه الفنّان بشكل عامّ.

في رئيس التحرير والرقابة[٢١]. شغفُ كاملِ الشعب الفرنسيّ الشديدُ بالرقابة والديكتاتوريّة. إنّه الـ "لو كنت مَلِكًا".

بورتريهات وطرائف:

فرانسوا. بيلوز. هوساي. رُوي ذائع الصيت. دي كالون. شاربنتييه، الذي يعاقب محرّريه باسم المساواة التي أسبغتها على الجميع، المبـادئُ

المدرسة الطبيعيّة في الفنّ (L'école naturaliste). وقد كتب يقول إنّ هذه المدرسة تؤكد أنّ الفنّ هو التعبير عن الحياة في مختلف مظاهرها ومستوياتها. وأنّ هدف الفنّ الوحيد بالنسبة إلى هذه المدرسة هو إعادة إنتاج الطبيعة".وواضح أنّ هذه الأفكار بعيدة عن قناعات بودلير الذي لا يرى الفنّ إلاّ في الابتعاد عن كلّ ماهو طبيعيّ. (آ.ف)

(٢١) الرقابة. هكذا ترجمنا كلمة:(Pionnerie): وقد اشتقّ بودلير هذه الكلمة من (Pion) وتعني البيدق في رقعة الشطرنج وتطلَق مجازًا على كلّ من يتّصف بالخضوع لإرادة الآخرين وانعدام الشخصيّة. والكلمة تعني أيضا في الفرنسيّة الحارس أو القيّم الذي يقوم بالمراقبة في معاهد التعليم مثلاً.وهذا المعنى أقرب إلى قصد بودلير، فلاشكّ أنّه يشير إلى كلّ سلوك ينمّ عن مراقبة الآخرين وإرادة التحكّم فيهم بمتابعة حركاتهم وسكناتهم.لذلك فضّلنا استعمال كلمة "رقابة"، على الرغم من كونها (أو لأنّها) قد تذكّرنا بكلمة (Censure) المرتبطة بحريّة النشر والتعبير، والقريبة من مناخ الدكتاتوريّة. خاصّة وأنّ بودلير كان دائم الشكوى من تدخّل مديري الصحف في قصائده ومقالاته. (آ.ف)

الخالدة لثورة ١٧٨٩. شُوفالييه، رئيـــس التحريـــر المثـــالي وفقـًــا للامبراطوريّة(٢٢).

---

(٢٢) فردينان فرانسوا (François Ferdinand) مدير "المجلّـــة المســتقلّة" La Revue indépendante. فرانسوا بيلوز (François Buloz)مدير "مجلّة العـــالمين" La Revue des deux mondes. أرسين هوسّاي (Arsène Houssaye) رئيس تحريـــر صحيفـــة "لابريس" La Presse، هنري رُوي (Henry Rouy) مديرهـــا الإداري. ألفونـــس دي كـــالون (Alphonse De calonne): مديـــر" المجلّـــة المعـــاصرة " La Revue contemporaine. جرفيه شاربنتييه (Gervais Charpentier)مدير "المجلّة الوطنيّـة" La Revue nationale. أوغسط شوفالييه (Auguste Chevalier) من مجلّة "البلـــد" Le Pays. كلّ هذه الأسماء كان لبودلير مع أصحابها مشاكل نشر ورقابة.(آ.ف)

قلبي عاريًا ١٦

في ما يختصّ بـــ جورج صاند[٢٣].

المرأة صاند هي في مجال الفجور، بمثابة قاضي التوفيق بين العمّـــال في مجال الشغل. لقد كانت دائما داعية للأخـــلاق الفاضلـــة. لكنّـــها مارست أحيانًا الأخلاق المضادّة. لذلك لم تكن يوما فنّانة.

إنّها تكتب بذاك الأسلوب السيّال، ذائع الصيـــــت، العزيـــز علـــى البورجوازيّين.

إنّها غبيّة ثقيلة ثرثارة، ولأفكارها الأخلاقيّة من عمق الأحكام ورقّـــة المشاعر ما للخادمات والحَظِيّات.

ما قالته في أمّها. ما قالته في الشعر. غرامها بالعمّال.

أن يكون بعض الرجال قد أُغرِمُوا بهذا المرحاض، دليل واضح علـــى

---

[٢٣] البارونة أورور ديدوفان الشهيرة بـــ:جورج صـــاند (Aurore Dupin Baronne Dudevant dite George sand): أديبة فرنسيّة (١٨٠٤-١٨٧٦). عرفت بتأثيرهـــا في الساحة الثقافيّة الفرنسيّة أيام كانت الصالونات الأدبيّة تصنع الحدث. كانت لها علاقات مع ألفريد دي موسيه (Alfred de Musset) ووشوبان (Chopin) الخ. كتبت روايات ذات نكهة عاطفيّة واجتماعيّة، مثل إنديانا (Indiana) ســـنة ١٨٣٢، وليليـــا (Lelia) ســـنة ١٨٣٣.و لم يكن بودلير يخفي تقييمه السلبيّ لشخصها وسلوكها وأدبها. رغم أنّه اســـتنجد بها سنة ١٨٥٥، لتتدخّل من أجل تشغيل صديقته ماري دوبـــرون (Marie Daubrun) في مسرح "باب سان مارتان" (La porte Saint-Martin). (آ.ف)

انحطاط رجال هذا القرن.

مراجعة مقدّمة "الآنسة لاكنتيني"[٢٤]، حيث تزعـــم أنّ المســـيحيّين الحقيقيّين لا يؤمنون بالجحيم. إنّ صاند تدافع عن إله العامّـــة، إلــه البوّابين والخدم الخبثاء. ولها إذَنْ أسباب وجيهة كي تفضّـــل إلغـــاء الجحيم.

[٢٤] عرف عن جورج صاند، ولعها بكتابة مقدّمات لأعمال متواضعة، لكتّاب ناشئين، مـن العمّال والمغمورين. وقد تكون هذه إحدى تلك الأعمال.(آ.ف)

قلبي عاريًا ١٧

الشيطان وجورج صاند.

من الخطأ الاعتقاد بأنّ الشيطان لا يغوي إلاّ العباقرة. إنّه يحتقر الأغبياء لا شكّ في ذلك، لكنّه لا يرفض مساهماتهم. بل إنّه يعقد عليهم أكبر الآمال.

انظروا إلى جورج صاند. إنّها أوّلا وقبل كلّ شيء دابّة سمينة. لكنّها ممسوسة. الشيطان هو الذي سوّل لها أن تثق بقلبها وفطرتها، لتقنع كلّ الدوابّ السمينة الأخرى باتّباع القلب والفطرة.

لم أفكّر في هذه المخلوقة البليدة، إلاّ أحسستُ بقشعريرة الرعب. ولو رأيتُها في الطريق لما تماسكتُ عن رميها بجرن الماء المقدّس.

جورج صاند هي واحدة من تلك العجائز اللاتي يمثّلن دور البلهاوات، ويرفضن مغادرة المسرح.

قرأت أخيرا مقدّمة (مقدّمة الآنسة لاكونتيني) حيث تزعم أنّ المسيحيّ الحقيقيّ لا يؤمن بالجحيم.

إنّ لها أسبابًا وجيهة كي ترغب في إلغاء الجحيم.

ديانة المرأة صاند. مقدّمة الآنسة لاكونتيني. للمرأة صاند مصلحة في أن يكون الجحيم غير موجود.

قلبي عاريًا ١٨

أشعر بالسأم في فرنسا، خاصّة لأنّ الجميع يشبه فولتير[٢٥].

---

[٢٥] فولتير (Voltaire): مفكّر وكاتب فرنسيّ (١٦٩٤-١٧٧٨) عُرف بالشكّ والسخرية ومعاداة الكنيسة والانتصار للعقل والحثّ على العدل والتسامح. كان كتابه "رسائل فلسفيّة" الذي نشر بالفرنسيّة سنة ١٧٣٤، بمثابة البيان لما سمّي بعصر الأنوار. وقد دافع فيه عن الحريّة السياسيّة والدينيّة، ممتدحًا العلم والتقدّم، معتنقًا وجهة نظر لوك (Lock) الماديّة. وقد مُنِع الكتاب، واضطرّ فولتير إلى الهجرة والتخفّي. ونشر بعد ذلك عدّة مسرحيّات ودراسات فكريّة، من بينها كتاب حول فلسفة نيوتن (Newton) سنة ١٧٣٨. وكان فولتير مع منتيسكيو (Montesquieu) من أوّل المهتمّين بتاريخ الشعوب والأمم، بعد أن كان الاهتمام مقتصرًا على تاريخ الملوك والعسكر. سنة ١٧٤٥ دعي إلى البلاط الفرنسيّ من جديد.وأصبح مؤرّخ الملك، وفي السنة الموالية دخل الأكاديميّة الفرنسيّة. ثمّ ذهب إلى بروسيا ليلتحق بخدمة فريديريك الثاني (Frédéric ٢)، وحين تخاصم مع هذا الأخير، ورفضت فرنسا قبوله، لجأ إلى ضواحي جينيف (Genève). وسرعان ما أصبح غير مرغوب فيه هناك أيضًا. خاصّة بعد خصومته مع جان جاك روسّو.سنة ١٧٥٩ نشر قصّة "كانديد" (Candide)، وفيها سخر من خطاب مفكّري عصره المغرق في الميتافيزيقا والتفاؤل الأعمى. وكان في هجومه على المعتقدات السائدة، يبشّر بالمذهب التجريبيّ كوعي وطريق إلى المعرفة. عمّر فولتير وامتدّ انتاجه على قرابة الخمسين سنة. لذلك اعتبر رمزًا لقرن كامل. كان فيه مثال الفيلسوف المهتمّ بأسئلة الإنسان والمجتمع، والمشارك في أحداث عصره والمنحاز إلى المواقف التي يؤمن بها،والمحارب دفاعًا عن أفكاره وقناعاته. إلاّ أنّ بودلير كان يضعه في خانة أعداء الشعر والجمال، ومن أصحاب الفكر السطحيّ غير القادر على الإمساك بالحقيقة من جوانبها المتعدّدة. على الرغم من كونه عبّر عن إعجابه به في مواضع أخرى. وإذا كنّا قد أطلنا شيئًا ما في الحديث عن فولتير، فلأنّ في ذلك إضاءة لفكر بودلير

إميرسون[٢٦] نسي فولتير في كتابه "وجوه البشريّة". كان يمكن أن يعقد فصلاً ظريفًا تحت عنوان: فولتير أو الشاعر المضادّ، ملك المتسكّعين، أمير السطحيّين، الفنّان المضادّ، داعية البوّابين، الأب جيكوني لِكَتَبَةِ القرن.

في "أُذُنَا الكونت دي شاستر فيلد"[٢٧]، يسخر فولتير من تلك الروح الخالدة التي ظلّت تعيش لتسعة أشهر بين فضلات البراز والبول. كان فولتير مثل كلّ الكسالى، يكره الغموض.

كان بإمكانه على الأقلّ أن يرى في موقع الروح ذاك، مكرًا أو سخرية من القدر في مواجهة الحبّ، وعلى سبيل التعميم، إشارة إلى الخطيئة الأولى. فنحن فعلا لا نستطيع ممارسة الحبّ إلاّ بواسطة الأعضاء البرازيّة.

لمّا عجزت الكنيسة عن إلغاء الحبّ، رأت أن تطهّره، فابتدعت الزواج.

نفسه، وللعوامل التي أثّرت على شعره وعلى رؤيته الجماليّة. إذ لم يكن رفضه لفولتير سوى موقف من عصر الأنوار بصفة عامّة، بأفكاره وجماليّاته ورؤاه.. (آ.ف)

[٢٦] رالف والدو إميرسون (Waldo Emerson Ralf): فيلسوف أمريكيّ (١٨٠٣-١٨٤٨) عرف بنظريّاته في الكون وموقع الفرد من العالم. (آ.ف)

[٢٧] أُذُنَا الكونت شاستر فيلد والكاهن غودمان Les Oreilles du comte de Chesterfield et le chapelainGoudman: عمل لفولتيرظهرسنة ١٧٧٥.(آ.ف)

قلبي عاريًا ١٩

بورتريه الوَبْش الأدبيّ.

دُكْطُورْ سِكّيرُوسْ نَذْلُوسْ مُتَحَذْلِقُوسْ[٢٨].

بورتريه مرسوم على طريقة بْرَاكْسِيتَالْ[٢٩].

غليونه.

آراؤه.

هيغليّته.

قذارته.

أفكاره في الفنّ.

حِقْدُه.

---

[٢٨] دكطور سكّيروس نذلوس متحذلقـــوس (Doctor Estaminétus Crapulosus Pédantissimus).نفخ بودلير في كلمة دكتـــور، (Doctor) وأضـــاف إلى الكلمـــات الأخرى حروفًا تشبه نهايات الأسماء اللاتينيّة. Estaminétus : أصلُـــها Estaminet أي المقهى الصغير أو الشعبيّ. Crapulosus : أصلها Crapule أي النذل الفاسق المتـــهتّك. Pédantissimus: أصلها Pédant أي المتحذلق. تلك هي الكلمات الـــتي اســـتخدمها بودلير. وهي نحت من الفرنسيّة بقصد السخرية. وحاولنا أن نترجمها مقتربين قدر الإمكـــان من معاني الكلمات الأصليّة التي نحت منها بودلير هذه التسميات الساخرة. (آ.ف)

[٢٩] براكسيتال (Praxitel):نحّات يونانيّ نشط في أثينا في القرن الرابع قبل المسيح.وأثّـــر في فنّاني المرحلة الهلّلينيّة(Héllénistique). (آ.ف)

غيرته.

لوحة ظريفة عن الشباب العصريّ.

لماذا لا يكون الشاعر خلّاط عقاقير، في موهبة الحلـــوانيّ، أو مربّـــي ثعابين صالحة للعروض والمعجزات؟[٣٠]

---

[٣٠] هذا المقطع مأخوذ من "تاريخ الحيوان" لـــ إِيليان (Elien) ومترجم في رسالة إلى جول جانين (Jules Janin)(م.ج).

قلبي عاريًا ٢٠

التيولوجيا:

ما السقطة؟

إذا كانت هي الوحدة وقد تحوّلت إلى ثنائيّة، فـــإنّ الله هـــو الـــذي سقط.

بتعبير آخر، ألا يكون الخلق هو سقطة الله؟

الدانْديّة:

ما هو الإنسان المتفوّق؟[٣١]

ليس هو بالاختصاصيّ.

إنّه الإنسان العاطل من العمل وذو التربية الشاملة.

أن تكون ثريًّا وتحبّ العمل.

لماذا يفضّل الرجل العاقلُ المومسات على نساء المجتمع، على الرغم من كونهنّ بالغباء نفسه؟ البحث عن الإجابة.

---

[٣١] ٣١ ـــالإنسان المتفوّق:هكذا ترجمناعبارة بودليرL'homme superieùr.(آ.ف)

قلبي عاريًا ٢١

ثمّة نساء يشبهن شريط وسام جوقة الشرف. لا يريدهنّ أحد بعد أن يتَّسَخْنَ برجال آخرين.

للسبب نفسه لن أرتدي سراويل أجرب.

المُزعِجُ في الحبّ، أنّه جريمة لا يمكن فيها الاستغناء عن شريك.

دراسة المرض الخطير: مرض الرعب من البيت. أسبابه. تطوّره التصاعديّ.

السخط الناشئ عن الغطرسة الكونيّة، لكلّ الطبقات وكلّ الناس من الجنسين في كلّ الأعمار.

الإنسان يحبّ الإنسان، إلى حدّ أنّه لا يهجر المدينة إلاّ ليبحث عن الحشد مرّة أخرى، أي ليعيد صنع المدينة في الريف.

قلبي عاريًا ٢٢

حديث دوروندو عن اليابانيّين. (أنا فرنسيّ قبل كلّ شيء).
اليابانيّون قِرَدة. دارجو[٣٢] هو الذي قال لي ذلك.
حديث الطبيب صديق ماتيو[٣٣]، عن فنّ عدم الانجاب وعن موسى وخلود الروح.
الفنّ عامل حضارة (كاستانياري).
هيئةُ حكيم بين أفراد عائلته، في الطابق الخامس، يشرب القهوة بالحليب.
السيّد ناكار الأب والسيّد ناكار الإبن[٣٤].
كيف أصبح ناكار الإبن مستشارًا بمحكمة الاستئناف.

---

(٣٢) إميل دوروندو (Emile Durandeau) وألفريد دارجو(Alfred Darjou) رسّاما كاريكاتير،[نشر بودلير بعض أعماله في الصحيفة التي يعملان بها]. (م.ج)

(٣٣) لعلّه أورفيلا ماتيو (Orfila Mathieu):طبيب وكيميائيّ فرنسيّ (١٧٨٧-١٨٥٣) وصاحب أبحاث شهيرة في التسمّم والإدمان. وربّما كان غوستاف ماتيو Gustave Mathieu مدير نشريّة صغيرة ذات طابع ساخر واستفزازيّ، نشر فيها بودلير إحدى قصائد أزهار الشرّ.(آ.ف)

(٣٤) السيّد ناكار الأب (Le Sieur Nakart Pére) طبيب بلزاك (Balzac)[وقد اشتكى بودلير من أنّ هذا الطبيب قد نمّ عليه لدى زوجة بلزاك.] أمّا السيّد ناكار الابن (Le Sieur Nakart Fils) فهو أحد القضاة الذين حاكموا بودلير. (م.ج)

قلبي عاريًا ٢٣

في وَلَعِ الفرنسيّين بالاستعارات العسكريّة وتفضيلهم لها. هنا تحمـــــلُ كلّ استعارة شنبًا:

أدب نضاليّ. المحافظة على الروح القتاليّة. رفع الراية عاليًا. الارتمـاء في المعترك. أحد قدماء المحاربين...

كلّ هذه الشقشقات المجيدة، تُطلق عادةً على أدعياءَ حمقى وتنابلــــةِ حانات.

استعارات فرنسيّة:

جنديّ الصحافة القضائيّة (بيرتان)[٣٥].

الصحافة المناضلة.

يُضاف إلى الاستعارات العسكريّة: شعراء المقاومة. كتّاب الطليعة.

هذا الاستئناس بالاستعارات العسكريّة، لا يدلّ على عقول مناضلـــة، بقدر ما يدلّ على عقول مخلوقة للانضباط، أي للامتثـــــال، عقـــول مُدَجَّنة منذ الولادة، عقول بلجيكيّة، لا تفكّر إلاّ وهي في قطيع.

---

[٣٥] هنري بيرتان (Henri Bertin) مختصّ في فقه القضاء كان يشرف على دوريّة القــانون (Le Droit) (م.ج)

قلبي عاريًا ٢٤

الرغبة في المتعة تشدّنا إلى الحاضر. الاهتمام بخلاصنا يعلّقنا على المستقبل.

يبدو لي الإنسان المُتَعَلِّقُ بالمتعة، أي بالحاضر، في هيئة رجل متدحرج من علٍ، أراد أن يتشبّث بشجيرات، فاقتلعها وجرفها معه في سقوطه.

كن رجلا عظيمًا وقدّيسًا في نظر نفسك، قبل كلّ شيء.

في حقد الشعب على الجمال.

أمثلة:

جين والسيّدة مولر.

قلبي عاريًا ٢٥

سياسة:

يتمثّل المجد الكبير الذي حقّقه نابليون الثالث، إجمالاً، في إقامة الدليل للتاريخ وللشعب الفرنسيّ، على أنّ في وسع أوّل عابرٍ إذا انتزع التلغراف والمطبعة الوطنيّة، أن يحكم أمّة عظيمة.

أغبياء أولئك الذين يتصوّرون إمكانيّة حدوث أشياء مثل هذه دون إذْنِ الشعب، وأولئك الذين يعتقدون أنّ المجد لا يقوم إلاّ على الفضيلة.

الطُغاةُ خَدَمُ الشعب - لا أكثر- وهو بالمناسبة دورٌ بائس - وليس المجد سوى حصيلة تَوافُقِ عقلٍ مع غباوةِ أمّة.

ما الحبّ؟

الرغبة في مغادرة الذات.

الإنسان حيوان عاشق.

أن تعشق يعني أن تضحّي بنفسك وأن تَتَعَهّر.

لذلك كان كلُّ حبٍّ بغاءً.

الكائن الأكثر إيماسًا هو الكائن بامتياز، أي الله، بما أنّه الصديق

الأعلى لكلّ فرد، ومستودع الحبّ الجماعيّ الذي لا ينفد.

صلاة

اللهمّ لا تعاقبني في أمّي ولا تعاقب أمّي بسببي.

اللهمّ أوصيك خيرًا بروحَيْ أبي وماربيت، وأسألك مَنْحِي القدرةَ على القيام بواجبي كلّ يوم، حتّى أصبح بطلاً وقدّيسًا.

قلبي عاريًا ٢٦

فصل في الشراسة البشريّة، غير القابلة للإبادة، والأبديّة، والشاملة.

في حبّ الدم.

في الانتشاء بالدم.

في الانتشاء بالحشود.

في الانتشاء بالمصلوب (داميان)[٣٦].

ما من عظيم بين البشر إلاّ الشاعر والراهب والجنديّ.

المُغنّي والمُبارِكُ والمضحّي بنفسه وبالآخرين. أمّا الآخرون فمخلوقــون للسياط.

لِنَحْتَرِسْ من الشعب والفِطْرَة والعاطفة والإلهام والبداهة.

(٣٦) روبير فرانسوا داميان (Damiens François Robert): فرنسيّ (١٧١٥-١٧٥٧). طعن لويس الخامس عشر بخنجر. وتمّ تعذيبه ثمّ تقطيع أوصاله إثر ذلك. (آ.ف)

قلبي عاريًا ٢٧

كثيرا ما أدهشني السماحُ للنساء بدخـــول الكنــائس. أيُّ حــوارٍ بإمكانهنّ إقامته مع الله؟

فينوس الخالدة (هوًى عابر، هيستيريا، نزوة)، هي شكل فــاتن مـــن أشكال الشيطان.

يشعر الكاتب الشابّ بالفخر يوم يصحّح أوّلَ نسخة، كـالتلميذ أوّلَ ما يُصابُ بالزهري.

عدم نسيان تخصيص فصل كبير لفنّ العِرافة، بواسطة الماء والـــورق وقراءة الكفّ الخ...

المرأة لا تحذق الفصل بين الروح والجســـد. إنّـــها ســاذجة مثـــل الحيوانات.

الساخر قد يعزو ذلك إلى كونها لا تملك غير الجسد.

فصل في: التغسّل. حكمة التغسّل. نِعَم التغسّل.

قلبي عاريًا ٢٨

في ادّعاءِ الأساتذة والقُضاة والرهبان والوزراء.

عُظَماءُ اليوم المُزَيَّفون:

رينان.

فايدو(٣٧).

---

(٣٧) أرنست رينان (Renan Ernest): كاتب ومفكّر ومؤرّخ فرنسيّ (١٨٢٣-١٨٩٢). اهتمّ باللغات الساميّة وتاريخ الأديان. له عدّة مؤلّفات نذكر من بينها: "مستقبل العلم"(١٨٩٠). و"تاريخ أصول المسيحيّة" (١٨٦٣-١٨٨١)، اشتهر منه الجزء الأوّل "حياة المسيح". وذكريات الطفولة والشباب" (١٨٨٣)، الذي تحدّث فيه عن الظروف التي جعلته يفقد الإيمان. وهو عمومًا صاحب مواقف تتناقض مع ما يراه بودلير. من ذلك قوله في "ذكرياته": "المرأة تصلنا بالنبع الخالد الذي يرى فيه الله وجهه". أو قوله "المُطيع هو في الأغلب أفضل من الآمر". وهما موقفان من المرأة والسلطة يرى بودلير نقيضهما تمامًا. كما يقول في "حوارات وشذرات فلسفيّة": "قد يُتاح لسلطةٍ مَا، ذات يوم، أن يكون الجحيم تحت تصرّفها، ليس الجحيم الوهميّ، الذي لا دليل لنا على وجوده، بل الجحيم الحقيقيّ..."وعلى الرغم من صحّة هذا الرأي، في ما يتعلّق بوضع الجحيم تحت تصرّف السلطة، فإنّ بودلير سيرفض دون شكّ، القول بالجحيم الوهميّ، وبأنْ لا دليل على وجوده. وقد بدأ بودلير بالإعجاب به، وانتهى إلى رأي سلبيّ فيه، حين "اكتشف" أنّ رينان الفيلسوف، قد تلوّث بفكر فولتير. (آ.ف)

أمّا إرنست فايدو Ernest Feydeau (١٨٢١-١٨٧٣) فهو الكاتب الروائيّ الفرنسيّ (والد جورج فايدو Feydeau Georges صاحب مسرحيّات الفودفيل المعروف) وكان بودلير قلقًا في تقييمه لأعمال هذا الكاتب.(آ.ف)

أوكتاف فوبيه.

سكول.[٣٨]

مديرو الجرائد: فرانسوا، بيلوز، هوساي، روي، جيراردان، تاكسييه، سولار، تورغان، دالوز.

قائمة أوباش وعلى رأسها سولار[٣٩].

أن تكون عظيمًا وقدّيسًا في نظر نفسك، ذاك هو الشـــيء الوحيـــد المهمّ.

---

[٣٨] أوكتاف فوييه Octave Feuillet أحد زملاء بودلير في الدراسة، ممّن تحصّلوا علـــى عضويّة الأكاديميّة، ولعلّ بودلير قد عوّل عليه، خلال الفترة التي أراد فيها الترشّح إلى هـــذه المؤسّسة. أمّا أوريليان سكول Aurélien Scholl(١٨٣٣-١٩٠٢) فهو مدير مجلّة "القـــزم الأصفر" Le Nain Jaune(آ.ف)

[٣٩] إدمون تاكسييه (Edmond Texier) مدير صحيفة كان بودلير يعتزم أن ينشر فيـــها مقالات نقديّة عن الرسم. فيليكس صولار (Félix Solar) رجل أعمال، من أقلام صحيفة "لابريس" التي سبق ذكرها. جوليان تورغان (Julien Turgan) وبـــول داللـــوز (Paul Dalloz)، مديرا "المونيتور" Le Moniteur Universel. هذه الأسماء إلى جانب الأسمـــاء الأخرى التي سبق التعرّض إليها، تمثّل بالنسبة إلى بودلير قائمة "الأوباش" الذين عانى منـــهم كأديب وكصحفيّ. (آ.ف)

قلبي عاريًا ٢٩

نادار[٤٠] هو التعبير الأكثر إدهاشًا عن الحيويّة. لقد قال لي أدريـان أنّ أمعاء أخيه فيليكس كانت كلّها مضاعفة الحجم. وكنت دائم الغـيرة من رؤيته ينجح في كلّ ما هو غير مجرّد.

إنّ فويّو[٤١] من الفضاضة ومعاداة الفنون، بحيث يجـوز القـول إنّ ديمقراطيّة العالم كلّها قد لجأت إلى حضنه.

تطوُّر فنّ البورتريه.

تفوُّقُ الفكرة الخالصة لدى المسيحيّ والشيوعيّ البابوفيّ[٤٢] على حدّ

---

[٤٠] فيليكس نادار (Felix Nadar): رسّام كاريكاتير ومصوّر فوتوغرافيّ فرنسيّ (١٨٢٠-١٩١٠).كان من أعزّ أصدقاء بودلير. صوّر مشاهير عصره. والتقط أوّل صورة من الفضاء باستعمال المنطاد(١٨٥٨).وكان من أوائل مستخدمي الإضاءة الاصطناعيّة في التصوير (١٨٦١).و أدريان (Adrien) هو أخوه. وقد ترك نادار صوراً فوتوغرافيّة كثيرة لبودلير. وألّف كتابًا بعنوان "شارل بودلير الحميم" ظهر سنة ١٩١١. (آ.ف)

[٤١] لويس فويّو (Veuillot Louis): صحافيّ وكاتب فرنسيّ (١٨١٣-١٨٨٣).أصبح سنة ١٨٤٨ رئيس تحرير صحيفة "الكون" (L'univers)، فغدت لسان حال الكاثوليكيّة المتزمّتة. وقد كان بودلير كثير الاستخفاف به وبأفكاره. (آ.ف)

[٤٢] الشيوعيّ البابوفيّ (Le communiste babouviste): نسبة إلى فرانسوا نويل بابوف Babeuf François- Noël. (١٧٦٠-١٧٩٧). أحد أعلام الثورة الفرنسيّة. اهتمّ بالعمّال الفلاحيّين وبشّر بالملكيّة الجماعيّة والعمل الجماعيّ ودعا إلى المساواة الكاملة. وكان

سواء.

التطرّف في الخضوع. الامتناع حتّى عن محاولة فهم الدين.

موسيقى.

في العبوديّة. في نساء المجتمع. في المومسات. في القُضاة. في الأســـرار الدينيّة. في البيروقراطيّين.

الأديب هو عدوّ العالم.

حلقة هامّة في تطوّر الفكر الشيوعيّ. تمّ إعدامه بعد أن حاول التمـــرّد علـــى روبيســـبيير. (آ.ف)

قلبي عاريًا ٣٠

في الحبّ كما في كلّ الشؤون البشريّة تقريبًا، يكون الوفـــاق التـــامّ نتيجة سوء تفاهم. سوء التفاهم هذا هو المتعة. يصرخ الرجل "آه يـــا ملاكي"، فتهدل المرأة "ماما، ماما". ويعتقد هذان الغبيّـــان أنّـــهما يفكّران في تناغم. بينما الهاوية المتعذّر عبُورُها والتي تصنع اللاتواصل، لم تُعْبَرْ بعد.

لماذا يثير مشهد البحر هذه البهجة الأبديّة التي لا حدّ لها؟

لأنّ البحر يوحي بفكرتَيْ الامتداد والحركة في الوقت نفســه. ســتّة أميال أو سبعة هي بالنسبة للإنسان شعاع اللامتناهي. لامُتناهٍ مصغّـر، لكنْ لا بأس به مادام يعطي فكرة عن اللامتناهي الشامل. اثنا عشـــر أو أربعة عشر ميلاً (بالنسبة لقطر الدائرة)، اثنا عشر أو أربعة عشـــر ميلاً من السائل المتحرّك، كافية لتقديم أفضل نماذج الجمال المتاحـــة للإنسان في دار العبور هذه.

قلبي عاريًا ٣١

ما من شيء مهمّ على هذه الأرض سوى الأديان.
ما الدين الكونيّ؟ (شاتوبريان[٤٣]، الأسكندريّون[٤٤]، دي ميستر[٤٥]،

---

[٤٣] الفيكونت فرانســـوا رينيــه دي شـــاتوبريان Vicomte François René de Chateaubriand: كاتب وشاعر فرنسيّ كبــير (١٧٦٨-١٨٤٨).اشــتغل بالسياســة والعسكريّة والأدب وكان له تأثير منقطع النظير. (آ.ف)

[٤٤] الأسكندريّون (Les Alexandrins):نسبة إلى مدرسة الاسكندريّة الفلسفيّة الغنوصيّة وعلى رأسها أفلوطين. وربّما نسبةً أيضًا إلى شعراء الاسكندريّة اليونانيّين. ولبودلير علاقــة واضحة مع فكر أولئك وهؤلاء. وقد أعيد "اكتشاف" الأسكندريّين في منتصـــف القــرن التاسع عشر، واعتبروا مثالاً للتعامل مع كلّ الأديان كمصدر للتجربة الشخصيّة. (آ.ف)

[٤٥] الكونت جوزيف دي ميســتر (Le comte Joseph De Maistre): (١٧٥٣-١٨٢١). فيلسوف ورجل سياسة فرنسيّ. كان أحد أهمّ المنظّرين المحافظين إبّـــان الثــورة الفرنسيّة. صاحب "في البابا"، و"أمسيات سان بترسبورغ". كان له تأثير كبير على بودلــير، خاصّة في مجال الروحانيّات والتفتّح علىالخيال والسحر والحياة الباطنيّة. انتقد بشدّة الفكــر السائد في عصره، والمفتقر إلى أيّ رجوع إلى السلطة الإلهيّة، باعتبارها عامل تفسير للطبيعــة والمجتمع. كان يضع الله في صميم مذهبه الفكريّ، ويرى أنّ الخالق يعبّر عن نفسه بشـــكل خفيّ، خاصّة عن طريق المعجزات التي يجب أن يقابلها الانسان بالصلاة. وكان يعتقـــد أنّ العقل البشريّ يجب أن يحاول فهم النظام الالهيّ حتّى وإن لم يحط بكلّ أسراره، نظراً لكـــون الكمال البشريّ قد أصيب منذ البداية بالـــ"خطيئة الأصليّة". في ما يختصّ بالسياسة كـــان دي ميستر يرى أنّ الظلم لا يُهزم، بدليل المصير المؤلم للعادل الأكثر كمالاً، أي المسيح. وقد اعتبر الثورة الفرنسيّة حدثًا "شيطانيًّا". وكان(كما سيكون بودلير فيما بعد) عدوًّا لـــدودًا

كابيه)[٤٦].

ثمّةَ دين كونيّ صنعه خيميائيّو الفكر. دين يتصاعد من الإنسان باعتباره تذكرة إلهيّة.

سان مارك جيراردان[٤٧] أطلق كلمة لن تُنْسَى: لِنَكُنْ تافهين.

فلنُقارب بين هذه الكلمة وكلمة روبيسبيير: إنّ الذين لا يؤمنون بخلودهم ينصفون أنفسهم.

كلمة سان مارك جيراردان تفصح عن حقد كبير على الرائع.

كلّ من يشاهد "القدّيس" مارك جيراردان يمشي في الشارع، لا يلبث أن يفكّر في إوزّة كبيرة معجبة بنفسها، لكنّها تجري مذعورة في الطريق العامّ، أمام عربة.

للكثير من أفكار ما سمّي بعصر الأنوار، فوقف ضدّ "الديموقراطيّة"، ودافع عن الملكيّة الوراثيّة، واعتبر أنّ للدين وللبابا دورًا أساسيًّا، هو الوقوف ضدّ انهيار التاريخ. (آ.ف)

(٤٦) كابيه Capé: ثمّة إشارة إلى صاحب محلّ لتجليد الكتب، بهذا الاسم، كان بودلير أحد حرفائه. ولكنّ السياق الذي يرد فيه هنا غير واضح. (آ.ف)

(٤٧) ٤٧ ـــ سان مارك جيراردان (Saint-Marc Girardin): جامعيّ ورجل سياسة فرنسيّ(١٨٠١-١٨٧٣)، هاجم الرومنطيقيّة باعتبارها اتّجاهًا يغلّب الخيال على الواقع والعاطفة على العقل. ويبدو أنّه خطب مرّة في السوربون قائلاً: "...لِنَكُنْ تافهين..."ويبدو أنّ بودلير قد طلب مقابلته كعضو في الأكاديميّة الفرنسيّة، لكنّه رفض استقباله. وقد استعمل بودلير كلمة "سان" التي تعني القدّيس، في سياق ساخر. (آ.ف)

قلبي عاريًا ٣٢

نظريّة الحضارة الحقيقيّة.

هي ليست في الغاز ولا في البخار أو الطاولات الـدوّارة، إنّـها في تقلّص آثار الخطيئة الأولى.

شعوب البداوة والرعي والصيد والفلاحة وحتّى الشعوب أَكَلَة لحْـم البشر، بإمكانها كلّها أن تكون متفوّقة في الحيويّة وعزّة النفس علـى أجناسنا الغربيّة.

وقد تندثر هذه الأجناس.

تيوقراطيّة وشيوعيّة.

للفراغ جانب كبير من الفضل في نضجي.

كان ذلك على حسابي. لأنّ الفراغ بدون ثـروة يفـاقم الديـون والإهانات الناتجة عن الديون.

لكنّه كان لفائدتي، من جهة رهافة الحسّ والتأمّل والاستعداد للدانْدِيّة والولع بالفنون.

رجال الأدب الآخرون، كانوا في معظمهم حفّارين أنذالاً شـديدي الجهل.

قلبي عاريًا ٣٣

مومس الناشرين.

مومس رؤساء التحرير.

المومس الفزّاعة، الغول، قاتلة الفنّ.

المومس، هويّتها الحقيقيّة.

صغيرة غبيّة وقذرة. أكبر حماقة مضمومة إلى أكبر فساد.

في المومس كلّ سفالة السوقيّ وتلميذ الثانويّة.

إعلام إلى اللاشيوعيّين:

كلّ شيء مشاع حتّى الله.

الفرنسيُّ حيوانُ قُنٍّ، مُدَجّنٌ إلى حدّ أنّه لا يجرأ على عبور أيّ حاجز. أُنظر إلى ذوقه في الفنّ والأدب.

إنّه حيوان من السلالة اللاتينيّة، لا تزعجه القذارة في بيته، وفي الأدب هو آكل براز. إنّه مولع بالغائط. كَتَبَةُ الخمّارات يسمّون ذلك ملْحَ بلاد الغال.

مثال جيّد عن الدناءة الفرنسيّة، وعن الأمّة التي تزعم أنّها استقلّت قبل الأمم الأخرى:

المقطع الموالي المأخوذ من الكتاب الجميل للسيّد دي فولا بال، سيكون كافيًا لإعطاء فكرة عن الانطباع الذي تركه فرار دي لافاليت في نفوس القسم الأقلّ تنوّرًا من الحزب الملكيّ: "الغضب الملكيّ في هذه الفترة من الإصلاح الثاني كان يصل، إن صحّ التعبير، إلى حدّ الجنون. كانت جوزيفين دي لافاليت الشابّة تواصل تعلّمها في أحد أهمّ الأديرة الباريسيّة (أبويّة أوبوا)، ولم تغادره إلّا لتقبّل أباها. وعند عودتها إلى الدير بعد فرار أبيها وذيوع خبر مساهمتها المتواضعة في ما حدث، تعالت ضجّة هائلة في وجه الفتاة، وأخذت الراهبات وزميلاتها يتجنّبنها، وعمد عدد من الأولياء إلى التهديد بسحب بناتهنّ

من الدير إذا بقيت هي فيه. كانوا على حدّ قولهم، لا يريدون تـــــرك بناتهم على صلة بفتاة لها مثل هذه السيرة وتقدّم مثالاً بهذا الســـــوء. وبعد ستّة أسابيع، اضطرّت السيّدة دي لافاليت فور خروجها مــــــن السجن، إلى استرجاع ابنتها من الدير."

قلبي عاريًا ٣٥

أمراء وأجيال:

نحن ظَلَمَةٌ سواءٌ نَسَبْنَا إلى الأمراء الحاكمين فضائل الشعب الذي يحكمونه أم رذائله.

هذه الفضائل والرذائل كما يثبتُ المنطقُ والاحصائيّات، تعود غالبًا إلى مناخ الحكم السابق.

لويس الرابع عشر يرثُ رجالَ لويس الثالث عشر فيرث المجد.

نابليون الأوّل يرث رجال الجمهوريّة فيغنم المجد.

لويس فيليب يرث رجال شارل العاشر فيحظى بالمجد.

نابليون الثالث يرث رجال لويس فيليب فإذا هو العار.

الحكومة السابقة هي المسؤولة دائمًا عن نهج الحكومة اللاحقة، هذا إذا صحّ أن تُسأل حكومة عن أيّ شيء.

لكنّ الإنقطاعات المفاجئة التي تطرأ على سلاسل الحكم، لا تسمح بجعل هذا القانون صحيحًا بصفة مطلقة، من جهة الزمن. فمن غير الممكن تحديد أين ينتهي تأثيرُ حُكْمٍ مَا – إلاّ أنّ هذا التأثير سيستمرّ في الجيل الذي تعرّض إليه في شبابه.

قلبي عاريًا ٣٦

في حقد الشباب على المستشهدين بكلام الغير. بالنسبة إليهم، المستشهد بكلام غيره عدوّ.

"سأضع قواعد الإملاء في متناول الجميع، حتّى الجلاّد".(تيوفيل غوتييه[٤٨]).

التفكير في إنجاز بورتريه ظريف لأوباش الأدب.

عدم نسيان بورتريه فورغ[٤٩]، القرصان، طفيليّ الأدب.

عن الرغبة القاهرة في البغاء داخل قلب الإنسان، ينشأ مَقْتُهُ للوحدة. إنّه يريد أن يكون اثنين، بينما يريد العبقريّ أن يكون واحدًا، أي وحيدًا. المجد هو أن تظلّ واحدًا وتتعهّر بطريقة متميّزة.

هذه الحاجة إلى نسيان الذات في جسد خارجيّ، هذا الضيق بالوحدة، هو ما يسمّيه الإنسان بشهامة: الحاجة إلى الحبّ.

---

[٤٨] تيوفيل غوتييه (Théophile Gautier): كاتب وشاعر فرنسيّ (١٨١١-١٨٧٢). أحد منظّري الفنّ للفنّ، وأحد أعلام المدرسة البرناسيّة في الأدب. والبرناس Parnasse، بعيدا عن السياق الجغرافيّ، هو عنوان دواوين ثلاثة صدرت بين ١٨٦٦ و١٨٧٦، كانت بمثابة البيان، والتجلّي الأمثل للمدرسة التي أطلق عليها اسم البرناسية. (آ.ف)

[٤٩] إميل دوران فورغ Emile Daurand Forgues (١٨١٣-١٨٨٣) كاتب اتّهم بالسرقة الأدبيّة.(آ.ف)

ديانتان جميلتان، خالدتان على الجدران، وسواسان أبديّان للشـــعب: "قضيب الميثولوجيا القديمة"و "يحيا باربيس[٥٠]" أو "يسقط فيليب" أو "تحيا الجمهوريّة".

---

[٥٠] أرماند باربيس (Barbès Armand): رجل سياســـة فرنســيّ (١٨٠٩-١٨٧٠). جمهوري عرف بإتقان المناورة. حكم عليه بالاعدام سنة ١٨٣٩،ولم يتمّ تنفيـــذ الحكــم. سجن من ١٨٤٨ إلى ١٨٥٤. ثمّ اختار المنفى. (آ.ف)

قلبي عاريًا ٣٧

دراسة قانون التدرّج الخالد والكونيّ من جميع جوانبه، في آثار الطبيعة وفي آثار الإنسان. قانون الـ"شيئا فشيئا" والـ"رويدا رويدا"، مع القوى النامية تدريجيّا مثل الفوائض في مجال المال.

الأمر نفسه يُلاحَظُ بالنسبة إلى المهارة الفنيّة والأدبيّة، وأيضًا بالنسبة إلى الإرادة كذخيرة متقلّبة.

جمهرةُ الكتبة التي نراها في مواكب الدفن توزّع المصافحات، وتتوسّل إلى ذاكرة محرّر أخبار الوفيات.

في مواكب دفن المشهورين.

في ما يختصّ بـ موليير. أرى أنّ طرطوف ليست كوميديا، بل مقالة هجائيّة. إنّ أيّ ملحد مهذّب يشاهد هذه المسرحيّة، سيقول إنّ من الواجب أن لا نترك بعض المسائل الحسّاسة في متناول الأوباش.

قلبي عاريًا ٣٨

تمجيدُ عبادة الصُوَر (غرامي الكبير، الأوحد، البدائيّ).
تمجيد التسكّع وما يمكن تسميتهُ بـ "البوهيميّة"[٥١]. عبادة الإحساس المضاعَف، المعبّر عن نفسه بالموسيقى. الرجوع في ذلك إلى ليست[٥٢].
في ضرورة ضرب النساء.
في الإمكان معاقبة من نحبّ كما هو الشأن بالنسبة إلى الأطفال. لكنّ هذا يعني أن نتَعذّب باحتقارنا لمن نحبّ.
في الخديعة الزوجيّة وفي الأزواج المخدوعين.
عذاب المخدوع.
إنّه ناشئ عن كبريائه، وعن فهم خاطئ للشرف والسعادة، وعن

---

[٥١] البوهيميّة (Bohémianisme): المعنى المقصود هنا هو الحياة بحريّة ودون تخطيط. أصبحت هذه الكلمة في فترة ما صفة ملتصقة بحياة الفنّانين والشعراء. (آ.ف)

[٥٢] فرانز ليست (Franz Liszt): مؤلّف موسيقي وعازف بيانو مجريّ (١٨١١-١٨٨٦). كان أكثر عازفي البيانو تأثيرًا في القرن التاسع عشر. جدّد في التلحين والعزف وأثّر في فاغنر (Wagner) ور. شتراوس (R. Strauss). أقام في باريس مدّة طويلة واختلط بالموسيقيّين والأدباء مثل شوبان (Chopin) وبيرليوز (Berlioz) وفيكتور هوغو (Victor Hugo) ولامارتين (Lamartine). ويكفي أن نلحظ البعد التجديدي الطاغي لدي ليست، وعلاقته بفاغنر، لنفهم إعجاب بودلير به. (آ.ف)

حبّ حُوِّلَتْ وجهتُه بسذاجة من الله إلى المخلوقات.
إنّه دائمًا الحيوان العاشق وقد أخطأ معشوقه.
تحليل الغباء الوقح: كْليمون دي ريس وبول بيرينيون(٥٣).

(٥٣) بول بيرينيون: (Paul Pérignon) أحد أعضاء مجلس العائلة الذي تمّ تكوينه إثر وفاة جان فرانسوا بودلير (Jean-François Beaudelaire)، وهو الذي طالب سنة ١٨٤٤ بتعيين وصيّ قضائيّ على الشابّ شارل بودلير.(م.ج)

قلبي عاريًا ٣٩

كلّما عَنِيَ الرجل بالفنون قلّت قدرته على الانتعاظ.

تتّسع الهوّة أكثر فأكثر بين العقل والبهيمة.

وَحْدَها البَهِيمَةُ تُحْسِنُ الانتعاظ، والنكاحُ هو غنائيّةُ الشعب.

نسيتُ اسمَ تلك الساقطة...آه، أوف، سأتذكّره يوم القيامة.

الموسيقى توحي بفكرة الفضاء.

شأنها في ذلك شأن كلّ الفنون تقريبًا، بما أنّ الفنون عدد، وبما أنّ العدد هو ترجمة للفضاء.

الرغبة يوميًّا في أن أكون الأعظم بين البشر.

أيّامَ الطفولة، كنت أرغب في أن أكون تارةً "البابا"[٥٤]، ولكن "بَابَا" عسكريًّا، وطورًا ممثّلاً.

المُتَعُ التي كنت أجدها في هذين الهلَسَيْن.

(٥٤) يتحدّث بودلير هنا عن البابَا: Le Pape، في علاقة مع الجنديّة. وقد سبق أن ربط بين الشاعر والراهب والمحارب في شذرات أخرى.(آ.ف)

قلبي عاريًا ٤٠

خامرني وأنا طفل، إحساسان متناقضان: التقزّز من الحياة والانتشاء بِهَا.
إنّه حقّا صنيع كسول عصبيّ.
لا تنجبُ الأممُ العظماءَ إلاّ مُرْغَمة.

في ما يختصّ بالممثّل وبأحلام طفولتي، تخصيص فصل لما يكوّن داخل الروح البشريّة موهبةَ الممثّل ومجده وكيانه ووضعَه في المجتمع. نظريّة لوغوفيه. هل هو مزاح بارد؟ هل هو سويفت(٥٥) آخر يحاول أن يعرف إن كانت فرنسا قادرة على ابتلاع حماقة جديدة؟

اختيارُه جيّدٌ من جهةِ كَوْنِ سمسون(٥٦) ليس ممثّلاً.

---

(٥٥) سويفت (Swift): كاتب إيرلنديّ (١٦٦٧- ١٧٤٥). صاحب رحلات غوليفر.

(٥٦) بخصوص ما عبّر عنه أ. لوغوفيه (E.Legouvé) من أسفٍ لعدم توسيم سامسون (Samson) الأستاذ بالكونسرفاتوار باعتباره ممثّلاً، كتب بانفيل (Banville) بعض الأسطر التي عثر عليها ك.بيشوا (Ci. Pichois)، والتي تُعتَبَرُ أفضل تعليق على هذه الملاحظات التي أبداها بودلير حول "العظمة الحقيقيّة للمنبوذين": « ...وحدهم كانوا ممثّلين بأتمّ معنًى للكلمة، أولئك الذين وُضِعُوا في مرتبة دون المرتبة التي يستحقّون، دون أن يكون

إنّها عَظَمَةُ منبوذين حقيقيّين.

بل ربّما كانت الفضيلةُ مُضِرّةً بمواهب المنبوذين.

لشيء أو لأحد أن يحول بينهم وبين أن يظلّوا كذلك، إذ لم يكن للمجتمع أن ينصفهم بأقلّ من أن يُجْلِسَهُم على كراسي المُلْك...» (م.ج)

قلبي عاريًا ٤١

التجارةُ ذاتُ ماهيّةٍ شيطانيّة.

التجارة هي المُعارُ المُسْتَرجَع. إنّها الإعارة مع الإضمـــار: أَرجِـــعْ لي أكثر ممّا أعطيتك.

إنّ فكر أيّ تاجر هو فكر فاسد تمامًا.

التجارة طبيعيّة فهي إذَنْ سافلة.

أقلّ التجّار سفالة هو ذاك الذي يقول: لِنَكُنْ فَضلاء كي نكسب مالاً أكثر بكثير من أولئك الحمقى الأنذال.

بالنسبة للتاجر، الأمانة ذاتها هي مضاربة من أجل الكسب.

التاجر كائن شيطانيّ، لأنّه شكل من أشكال الأنانيّة، وأكثرها دنـــاءة وخِسّة.

حين يقول المسيح: "طوباكم أيّها الجياع الآن لأنّكم تُشبعون"، فإنّـــه يقوم بحساب فرضيّات[٥٧].

---

[٥٧] كلمة المسيح: إنجيل لوقا. الإصحاح السادس. الرقم ٢٠. (آ.ف)

قلبي عاريًا ٤٢

لولا سوء التفاهم لما قامت للعالم قائمة.

سوء التفاهم العامّ هو الذي يجعل الجميع متّفقين.

إذ لو حدثت كارثةٌ وتفاهمنا، لما استطعنا أبدًا أن نتّفق.

رجلُ الفكر الذي لن يتّفق مع أحد، يجب أن يروّض نفسه على استساغة محادثة الأغبياء ومطالعة الكتب الرديئة. وسيخرج منها بِمُتَعٍ مريرة، تعوّضه عن تعبه بسخاء.

مُوَظَّفٌ نَكِرَة، وزير، مديرُ مسرحٍ أو جريدةٍ، كلّ هؤلاء قد يكونون أحيانًا جديرين بالاحترام، لكنّهم لن يكونوا في يومٍ رائعين. إنّهم أشخاص بلا شخصيّة، كائنات بلا خصوصيّة، مولودون للوظيفة، أي للخدمة العامّة.

قلبي عاريًا ٤٣

الله وعمقه.

لا يصحّ أن نشكُوَ فقر الروح ونبحث لدى الله عن الشريك والصديق دائِمَيْ الغياب. الله هو الصفيّ الأبديّ في هذه التراجيديا التي يقوم كلّ منّا بدور البطولة فيها. وربّما ثمّة مرابون وقَتَلَة يتوسّلون إلى الله قائلين: "إلهي أَنْجِحْ عمليّتي المقبلة". لكنّ صلاة هؤلاء الأشرار لن تعكّر صدق صلاتي ومُتْعَتَها.
تحملُ كلُّ فكرة في ذاتها حياةً خالدة، كما لو أنّها إنسان.

كلّ شكل مخلوق، بما في ذلك الأشكال التي يخلقها الإنسان، هو شكل خالد. لأنّ الشكل مستقلّ عن المادّة. وليست الجزيئات هي التي تكوّن الشكل.

طرائف بخصوص إيميل دواي(٥٨) وقسطنطين غيس(٥٩)، مُتْلِفَيْــــنِ أو متصوِّرَيْنِ أنّهما يتلفان أعمالهما.

(٥٨) إيميل دواي Emile Douay: موسيقيّ من مواليد ١٨٠٢، ارتبط به بودلير، أيّام كــان يفكّر في تأليف عمل للأوبرا.(آ.ف)

(٥٩) قسطنطين غيس (Constantin Guys): رسّام فرنســيّ (١٨٠٢-١٨٩٢). كــان عصابيّا، وعرف بعدم الرغبة في إمضاء لوحاته. كان يعثر على اللوحات الــتي رسمــها في بداياته، فيمزّقها أو يحرقها. أطلق عليه بودلير في كتاباته النقديّــة اســم "رسّــام الحيــاة العصريّة"(آ.ف)

قلبي عاريًا ٤٤

بات من المستحيل تَصَفُّحُ أيّ جريدة لأيّ يوم في أيّ شهر من أيّ عام، دون العثور في كلّ سطر على علامات الفساد البشريّ الأكثر ترويعًا، جنبًا إلى جنب مع التباهي الأكثر إدهاشًا بالاستقامة والطيبة والرحمة، إضافةً إلى الادّعاءات الأكثر وقاحة بالتقدّم والتحضّر.

كلّ جريدة من أوّل سطر إلى آخر سطر، ليست سوى نسيج فظائع. حروب، جرائم، سرقات، فواحش، تعذيب، جرائم أمراء، جرائم أمم، جرائم أفراد، عربدةُ فظاعة كونيّة.

ذاك هو فاتح الشهيّة المقزّز الذي يصحب به الإنسان المتحضّر فطوره كلّ صباح. كلّ شيء في هذا العالم ينضح بالجريمة: الجريدة والجدار ووجه الإنسان.

ولا أفهم كيف يمكن ليدٍ طاهرة أن تلمس جريدة، دون أن تعتريها قشعريرة تقزّز.

قلبي عاريًا ٤٥

قوّة التعويذة وقد أثبتتها الفلسفة. الأرضيّـــات المحفـــورة. التمـــائم.
ذكريات كلّ منّا.
بحثٌ في الأخلاق بوصفها طاقة حيويّة.
في نجاعة الأسرار الدينيّة.
ميلي إلى الصوفيّة منذ الطفولة. حواراتي مع الله.
في الهوس والمسّ والصلاة والعقيدة.
في الطاقة الحيويّة للأخلاق عند المسيح.
(رينان يحكم بالتفاهة على إيمان المسيح بـــالقوّة القصـــوى للصـــلاة والعقيدة).

الأسرار الدينيّة هي أدوات هذه الطاقة.
في مثالب المطبعة،باعتبارها عائقاً كبيرا أمام تطوّر الجمال[٦٠].

---

[٦٠] أثارت هذه الشذرة، الكثير من ردود الفعل. ذهب البعض إلى اعتبارها دليـــلاً علـــى مشاعر بودلير المعادية للساميّة. وتحمل نبوءة بما سيحصل لليهود من "مجازر ومحارق ومحاولـة إبادة". وذهب البعض الآخر إلى اعتبارها مجرّد"استعارة"، لا تعني اليهود، بقدر مـــا تعـــني "التجّار"، الذين كان بودلير يعاني منهم. في حين ذهب فريق ثالث إلى أنّ بودلير كان يؤمـــن بغلبة الشرّ، إلى حدّ أنّه أنكر على اليهود أن يكونوا شهودًا على "الفداء".(آ.ف)

التفكير في مؤامرة محكمة لإبادة العنصر اليهوديّ.
اليهود، أمناءَ مكتبات وشهوداً على الفداء[٦١].

(٦١) نيووركارك (Nieuwerkerke): ناظر الفنون الجميلة أثناء الامبراطوريّة الثانية. زيادة على وظيفته كعشيق للأميرة ماتيلد (Mathilde)، كان يتوجّب عليه السهر على ستر العورات المرسومة.(م.ج)

قلبي عاريًا ٤٦

أغبياءُ البِورجوازيّة الذين يتشــــدّقون باســـتمرار بكلمـــات مثـــل "لاأخلاقيّ"، "لاأخلاقيّة"، "الأخلاق في الفنّ" وغيرها من الحماقـات، يذكّرونني بـــ لويز فيلديو، مومس بخمسة فرنكات، رافقتني يومًـــا في زيارة إلى اللوفر، وكانت تلك أوّل مرّة تزور فيها هـــــذا المتحـــف، فاحمرّ وجهها وأخذت تغطّيه بكفّيها وتجذبني مـــن كـــمّ الســـترة، متسائلة أمام اللوحات الخالدة، كيف أمكن عرض كلّ هذه العـورات على العموم.

أوراق عنب السيّد نيووركارك[٦٢].

---

(٦٢) رولان (Roland): أحد فرسان شارلمان الاسطوريّين. مثال البطل الفارس المســـيحي. ويعتبره الفرنسيّون أسطورهم القوميّة الرئيسة. (آ.ف)

قلبي عاريًا ٤٧

لن يوجد للتقدّم قانون إلاّ حين يرغب كلّ منّا في إيجـــاده. أي أنّـــه عندما يعمد كلّ الأفراد إلى التقدّم، عندها وعندها فحسب، تتقـــدّم البشريّة.

قد تصلح هذه الفرضيّة لفهم التماهي بين فكرتين متناقضتين: الحريّـــة والقدر. لا يحصل التماهي بين الحريّة والقدر في حال حصول التقـــدّم فحسب، بل إنّ هذا التماهي موجود من الأصل. إنّه التاريخ. تـــاريخ الأمم والأفراد.

قلبي عاريًا ٤٨

سونيتة لا بدّ من ذكرها في "قلبي عاريًا"
مع ذكر المسرحيّة المخصّصة لـــرولان[٦٣].

خطر ببالي تلك الليلة، أنّ فيليس العائدة
والرائعة مثل ضوء النهار،
أرادت أن يمارس شبَحُهَا الحبَّ مرّةً أخرى،
وأن أقبّل سحابةً، مثل إيكْسيونْ
تسلّل خيالها إلى فراشي، عاريًا
وقال لي: "عزيزي دامون، أنذا عدتُ

---

[٦٣] البرناسيّة (Parnassienne): مدرسة أدبيّة سبق التعرّض إليها في الهامش المخصّص لتيوفيل غوتييه (عدد ٤٨). وقد تأسّست بين سنتي ١٨٦٦ و١٨٧٦ على أيدي مجموعة من الشعراء (ليكونت دوليل Leconte De Lisle، الذي كتب بودلير يقول «... إنّ شعره يتميّز بإحساس بالارستقراطيّة الفكريّة، كان يمكن أن يكفي لوحده كي نفهم لاشعبيّة الشاعر، لو لم نكن نعلم من جهة أخرى أنّ اللا شعبيّة في فرنسا، هي ضريبة كلّ من يتوق إلى شيء من الكمال...» وبانفيل Banville، وهيريديا Heredia، وبرودوم Prudhomme وكوبّيه Coppée)، كانوا ينادون بغنائيّة غير منغلقة على الذات، وبنظريّة الفنّ للفنّ. (آ.ف)

لم أفعل سوى أنّي ازددتُ جمالاً في ذلك المقام الحزين
الذي حبسني فيه القدر، منذ رحيلي.
جئتُ لأقبّل من جديد أجمل العشّاق
جئت لأموت مرّةً ثانية في أحضانك"
عندها، وبعد أن أخذت هذه المعشوقة كفايتها من ناري
قالت لي: "وداعًا، أنا ذاهبة إلى حيث الأموات
وكما تباهيتَ بأنّك وطأتَ جسدي
سيكون لك أن تتباهى بأنّك وطأت روحي."

قصيدة برناسيّة[٦٤] ساخرة.
أعتقد أنّ هذه السونيتة هي لـــماينارد.
وهناك من ينسبها لـــراكان[٦٥].

---

(٦٤) راكان (Racan)- (١٥٨٩-١٦٧٠). فرانسوا ماينـــارد (François Maynard): (١٥٨٢-١٦٤٦).شاعران فرنسيّان. (آ.ف)

(٦٥) وهذه السونيتة هي في الحقيقة لـــ: تيوفيل دي فيو (Théophile de viau). وقـــد استفسر عنها بودلير كلاّ من سانت بـــوف (Sainte-Beuve) ومالاسّـــيه (Malassis) وسان فيكتور (Saint-Victor)، ولم يظفر بالجواب إلاّ لدى هذا الأخير.(م.ج)

هوامش قلبي عاريًا:

*: تحدّث بودلير أوّل مرّة عن "قلبي عاريًا" باعتباره كتابًا يعتزم تأليفه، في رسالة وجّهها إلى أمّه في الأوّل من أفريل\نيسان سنة١٨٦١: «... إنّه كتاب كبير أحلم بتأليفه منذ سنتين، سأضمّنه كلّ أحقادي. آه، لو رأى هذا الكتاب النور، إذَنْ لبدت اعترافات جان جاك باهتة. ها أنت ترين أنّني مازلت أحلم...» وفي الخامس من جوان\حزيران ١٨٦٣، [أي قبل وفاته بسنة تقريبًا] كتب لأمّه مرّة أخرى: « ...أي نعم، سيكون هذا الكتاب الذي طالما حلمت به، كتاب أحقاد. من الأكيد أنّ أمّي وزوجها سيظلاّن محترمين، ولكنّي سأتحدّث عن تربيتي، والطريقة التي تمّ بها تكوّن أفكاري وأحاسيسي، وفي الوقت نفسه، أريد أن أوصل الإحساس بأنّي أشعر دائمًا بالغربة عن هذا العالم ونواميسه، وسأوجّه ضدّ فرنسا برمّتها، طاقتي الحقيقيّة على الوقاحة. بي حاجة إلى الانتقام، كحاجة الرجل المنهك إلى حمّام...» (م.ج)

المحتويات

عندما يأوي المرءُ الى فراشه، تتمثّل الرغبة الدفينة لجميع أصدقائه تقريباً، في أن يروه يموت. بعضهم للوقوف على أنّ صحّته كانت أسوأ من صحتهم. والآخرون يخامرهم أملٌ ما، في معاينة الاحتضار (...).

أن أكون إنساناً نافعاً، بدا لي دائماً أمراً في منتهى البشاعة.

لم تكن سنة ١٨٤٨ مسلّيةً، إلا لأنّ كلاً منّا كان يشيّد فيها يوطوبيّات وكأنّها قصور في إسبانيا.

لم تكن سنة ١٨٤٨ فاتنةً إلاّ لفرط ما كانت مثيرةً للاستهزاء.

روبيسبير ليس جديراً بالاحترام إلاّ لأنّه قال بعض الجمل الجميلة. الثورة تكرّس الخرافة عن طريق التضحية.

شارل بودلير

منشورات الجمل